

المائة السارسة

١٤٠ - يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجى ، أبو على .

أمير إفريقية . ملك بعد أبيه تميم فى منتصف رجب سنة إحدى وخمسة ،
وتوفى ثانى عيد الفطر سنة سبع وخمسة ، وت خلف من الولد المذكور نيفاً وثلاثين .
ولم يطل أمد ولايته . استغرقت عمره إمارة أبيه فلم يرث سلطانه إلا وهو
ابن ثلاث وأربعين وسبعة أشهر إلا أياما .

مولده بالمهديّة لأربع بقين من ذى القعدة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وبرز
للناس راكبا ، ثم عاد إلى قصره فخلع على وزرائه خلعا نفيسة ، ووهب للأجناد
والعبيد أموالا جمة ، ومما أنشد فى ذلك اليوم :

سقى النيثُ قبرا ضم أكرمَ مفقود	يعزى به فى الناس أفضلُ موجود
مضى فائزا بالخلد أفضلُ والد	وشرف هذا الملك أشرفُ مولود
وأحياء يحيى من ردى كل ملحد	وولى تميمَ عنه أكرمُ ملحود
فقد طابت الدنيا بأعلى مؤيد	كما فازت الأخرى بأكرم موعود
أرى النشأة الأولى أعيدت فأقبلت	بملك سليمان وققدان داوود

وليحى هذا شعر ضعيف منه قوله :

ألا يا منتهى طـرـبـي ومـن لم يـعـدّها أربـي
 إذا ما كنتِ حاضرةً شربتُ الراحَ بالنَّخبِ
 ومهما غبتِ عن بصرى فواحـزّني وواحرَبي
 فجودي بالوصال على شريف القدر والحسبِ
 وسقّيه معقّةً لها تاج من الحبِّبِ
 مليكٌ مُلّكتُ كفا رِقَّ العُجْم والعربِ

وله :

ألا حبذا يومنا بالحِمَى وقد قارن القمرُ المشتري
 وجاء الحبيبُ إلى منزلي برّيتا القرنفل والعنبرِ
 / وغنت لنا قينة حلوة بنظم من الشعر كالجوهرِ
 إذا كان حبي حذا ناظري شربتُ المُدامَ ولم أسكرِ

[١٤٣-ب]

قال أبو الصلت : وكنا بين يديه في يوم من شعبان شديد البرد فقال بديها :

أما ترى القرّة قد وافت عساكره فادفعه مقتصرأ بالقرّو والشررِ
 وقهوة عتقت في الدنّ صافيةً يصقّونها عيش حاسيها من الكدرِ
 وقال لي ولبعض كتابه : « أجيزا » ، فعملنا على جهة الاشتراك ، وجُلّه
 للكاتب :

يا من حُلاه جمال الكُتب والسّيرِ ومَن ندى يديه مَن عن المطرِ
 ذعرت عبيدك لما قلت مرتجلا ضرباً من الشعر يُعي أشعرَ البشرِ
 « أما ترى القرّة قد وافت عساكره » ، البيت والذي بعده .

فطاوواك وقالوا تابعين ، ومَن يُجارِ سحبان لا يَأمنُ من الحَصَرِ :

« تسعى عايك بها هيفاء ناعمةً تسبي العقول بحسن الدلّ والحوار
كأن غرتّها الغراء شمسٌ ضحى تبدو لعينك في ليلٍ من الشعر »

١٤١ — رشيد الدولة أبو يحيى محمد بن عز الدولة

أبي مروان عبيد الله بن المعتصم محمد بن معن بن صمادح

ذَكَرَهُ أَبُو عَامِرٍ السَّامِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَقَالَ : نَشَأَ بَعْدَ انْقِرَاضِ مُلْكِهِمْ ،
فَكَتَفَى بِالْأَدَابِ وَبَرَزَ فِيهَا ، ثُمَّ تَأَقَّى إِلَى الرِّئَاسَةِ فَقَيِّدٌ ، فَمِنْ قَوْلِهِ فِي السِّجْنِ :
أَحَبَّتُنَا الْكِرَامُ بَغَوْا عَلَيْنَا وَبَغَى الْمَرْءُ مَعْطَبَةً وَنَارُ
وَقَالُوا الْهَجْرَ لَمَّا يَعْلَمُوهُ وَهَجَرُوا الْقَوْلَ مَنْقُصَةً وَعَارُ
صَبَرْتُ عَلَى مَقَارَعَةِ الدَّوَاهِي وَطَبَعُ الْحَرِّ صَبْرٌ وَاتِّجَارُ
/ وَقُلْتُ : لَعَلَّهَا ظَلَمٌ أَلَمْتُ وَحَالُ اللَّيْلِ آخِرُهَا النَّهَارُ [١-١٤٤]
فَإِنْ يَكُنِ الرَّدَى يَكُنِ اصْطِبَارُ وَإِنْ تَكُنِ [الْمُنَى] ^(١) يَكُنِ اغْتِفَارُ

وله في ذلك :

صَبْرًا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ إِنْ لَهُ يَوْمًا كَمَا فَتَكَ الْإِصْبَاحُ بِالظُّلَمِ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْتَدِرٌ فَتَقْ بِهِ تَلَقَّ رُوحَ اللَّهِ مِنْ أُمِّ
وَقَلِّ صَبْرَ الْإِنْسَانُ مُحْتَسِبًا إِلَّا وَأَصْبَحَ فِي فَضْفَاضَةِ النَّعَمِ

(١) بياض بالأصل ، وقد أكملها دوزي (أبحاث ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٩ من الذبول)

من الذيل والتكملة لعبد الملك المراكشي ، المخطوط ورقة ١٢٠ ظهر.

وذكر أبو علي بن الأشيري أنه كان مع أبي يحيى هذا وعمه رفيع الدولة بن المعتصم بداخل تلمسان ، في حصارها سنة تسع وثلاثين وخمسة مائة — وتاشفين ابن علي بن يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت بظهرها في محلاته وجموعه — قال : فورد على الموحدين ، أعزم الله ، فتح ضربوا له طبولهم^(١) . فقال رفيع الدولة — وكان مسنًا — لابن أخيه أبي يحيى : لولا كبر سني وضعفني لكنت عندهم ، حرصاً عليهم ونظراً لنفسى . فقال أبو يحيى : تعال نقل شعراً نجعله عُدَّة . فقال رفيع الدولة ، وكان ذا بديهة :

لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمَلِكِ يَدُورُ السَّعْدُ فِي الْفَلَكَ
فَقَالَ أَبُو يَحْيَى :

هَامٌ نَوْرٌ غُرَّتْهُ كَضُوءُ الْبَدْرِ فِي الْحَلَاكِ

فقال ابن الأشيري :

فِيْمَّةٌ تَجِدُ مَا كَأَ عَلَيْهِ سَكِينَةُ الْمَلِكِ
وَلَا تَجْزَعُ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقُصَادِ مِنْ دَرَكِ

قال : وشاعت هذه الأبيات و [...]^(٢) إلى تلمسان [وبلغت]^(٣) أبا بكر بن مزدكلى نخاف قائلوها ، وكان رفيع الدولة إذ ذاك مقدماً على بنيان سور الرّبص منها^(٤) بحيلة . قال ابن الأشيري : وكنت أرى في النوم من يقول

(١) روى أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق في كتاب « أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين » (بتحقيق ليثى پروفسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٩٥ وما بعدها) هذه الحوادث بتفصيل . ورواها أيضاً — نقلاً عن أبي علي الأشيري — صاحب الحلل الموشية ، ص ١٠٩ وما بعدها .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) هنا شيء ناقص في معنى : وأرادوا التخلص من جريرتها . ولم يترك الفاسخ بياضاً .

[...] به [...] سفر فارغة ، فذكرت ذلك لأبي يحيى بن صُمّاح [...] / [...] [١٤٤-ب]
 [...] من خصه بالنعم السابقة [...] فجرى القدر بذلك [...] (١) فيسير
 ولثَرْتِير (٢) هذا عالج لبني تاشفين من كبار قوادهم وأبطال رجالهم ، كانت له

(١) لم أستطع استكمال النص هنا رغم وفرة المراجع التي تحدثنا عن هذه الحوادث في تفصيل كبير ، بل لدينا معظم ما قال أبو علي الحسن الأشيري الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا ، ولكن أصل هذا الخبر غير موجود .

انظر: كتاب أخبار المهدي ابن تومرت للبيدق ، ص ٩٤ وما يليها . الحلل الموشية ، ص ١٠٨ وما يليها . والقطعة القيمة المجهولة المؤلف التي نشرها ليثي بروفسال في مجلة إسييريس تحت عنوان :

Notes d'histoire Almohade, Hespéris, tome X, 1930, p. 49 sqq.

أما ابن الأشيري الذي نقل عنه ابن الأبار كثيراً هنا فهو « حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب ، يعرف بابن الأشيري ، ويكنى أبا علي ، من أهل تلمسان . نشأ بها ، وأخذ عن الأستاذ أبي علي بن الحراز ، وأخذ بالمرية عن أبي الحجاج بن يَسْعُون سنة ٥٤٠ هـ ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب ، يغلب عليه الأدب ، وكان فائراً ناظماً ، وله مجموع في غريب الموطأ وقفت عليه بخطه ، ومختصر في التاريخ سماه بنظم اللآلي » (التكملة رقم ٦٦ ج ١ ص ٢٦) . وقد توفي الأشيري سنة ٥٦٩/١١٧٣ - ١١٧٤ . وكان أول الأمر كاتباً لتاشفين بن علي بن تاشفين ، ثم أصبح من كتاب الموحدين . انظر « نظم الجمان » لابن القطان بتحقيق الدكتور محمود علي مكي (تطوان ، ١٩٦٤) ص ١٧٦ تعليق ٣ .

(٢) البربرتير - ويكتبه البيدق دائماً الأبرتير - قائد قطلوني مشهور في أخبار المرابطين أيام علي بن يوسف وابنه تاشفين اسمه *Reverter* ، وأصله من فرسان النبلاء في برشلونة ، أسره أمير البحر المرابطي علي بن ميمون وسيق إلى مراکش ، حيث دخل في خدمة المرابطين وجعله علي بن يوسف « قائداً للروم » أي رئيس فرقة الجند النصراني المرتزق التي كانت تعمل في صفوف المرابطين . وقد أبلى البربرتير بلاءً حسناً في الدفاع عن حولة المرابطين أمام الموحدين ، وقتل عند تلمسان قبل مقتل تاشفين بن علي بن يوسف بقليل سنة ٥٣٩/١١٤٤ - ١١٤٥ . وقد وصف البيدق ظروف موته بتدقيق كبير ، وقال إنه مات معه نفر آخر من الجند الرومي ذكر منهم *شُويْن (Juán) وغَشْتُون (Oaston)* وبطريان (*Adriano* أو *Pedroyano*) . وكان للبربرتير ابن أسلم وتسمى بعل ، ويعرف بعل بن البربرتير ، كان من بواصل جنود الموحدين ، وهو الذي انتصر على بني غانية في جزيرة ميورقة ، وكانوا قد اعتصموا بها أيام أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي . وقد قتل في الحروب التي وقعت بعد ذلك بين بني غانية والموحدين في إفريقية . سنة ٥٨٣/١١٨٧ . انظر « نظم الجمان » ، ص ٩٦ تعليق ١ .

في الحروب مقاوم شهيرة . وكان مقتل تاشفين ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين المذكورة . وجّه ابنه إبراهيم^(١) وليّ عهده إلى مراکش خوفاً عليها في شعبان ، وسار كاتباً معه أبو جعفر بن عطية^(٢) ، واستقر هو

= انظر الترجمة الفرنسية لأخبار المهدي ابن تومرت لليدق ، ص ١٣٩ ، هامش ١ ، وأبحاث دوزي : ٤٣٧/٢ - ٤٤٢ ، وكتاب :

FRANCISCO CODERA, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en Espana*. Zaragoza, 1899, p. 180 sqq.

وسنشير إلى هذا الكتاب فيما يلي باسم : اضمحلال المرابطين لكوديرا .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، كان آخر أمراء المرابطين ، ولد سنة ٥٢٥ هـ في الأندلس ، وفيها نشأ . ولاء أبوه عهده يوم تولى هو ، ثم أرسله إلى قرطبة « برسم القراءة فيها » أي ليتعلم ، وفي أثناء الحرب مع الموحدين عند تلمسان استدعاه أبوه وجدد له العهد ، ثم أرسله إلى مراکش ليقم فيها ويشترك في الدفاع عنها ، وكانت سنة ١٣ هـ . وبعد أن استولى عبد المؤمن بن علي على الجناح الشرقي من دولة المرابطين ، وقتل تاشفين بن علي بن يوسف أصبح إبراهيم بن تاشفين أميراً للمسلمين أواخر سنة ٥٣٩ هـ ، ثم كر عبد المؤمن فاستولى على فاس ثم سبتة ثم سلا ، وتقدم لحصار مراکش فسقطت في يده بعد حصار وقتال عنيفين ، ووقع في يده إبراهيم بن تاشفين ، فلأراد العفو عنه لصغر سنه ، ولكن أشياخ الموحدين « عزموا عليه في قتله ، فضربوا رقبة رحمه الله تعالى ، وأبى أمر اللثام » ، وكان ذلك حوالى منتصف شوال سنة ٥٤١ هـ .

انظر القطعة المجهولة المؤلف التي نشرها ليثي پروغنسال في مجلة إسبيريس (وقد أشرنا إليها في التعليق قبل السابق) ، ص ٦٠ - ٦٩ . أخبار المهدي ابن تومرت ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .. الحلل الموشية ، ص ١١١ وما يليها .

(٢) أبو جعفر أحمد بن جعفر بن عطية القضاعي المراكشي ، كان من كبار الكتاب والأدباء أيام المرابطين ، وكان أخوه أبو عقيل بن عطية أديباً كاتباً مثله ، وأصلهما القديم من قرية بناحية طرطوشة بالأندلس . وقد ولد أبو جعفر أحمد بن عطية في مراکش ، وعندما زالت دولة المرابطين اختفى حتى أمن ، ثم أظهر نفسه وعفا عنه عبد المؤمن بن علي واستكتبه ، ثم جرت عليه بعد ذلك محنة انتهت بقتله وأخيه أبي عقيل في أواخر ٥٥٣ هـ .

انظر : المعجب لعبد الواحد المراكشي ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ . إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشر (دمشق ١٩٦١) ص ٢٢٥ - ٢٢٩ . الإحاطة لابن الخطيب : =

بَوْهْرَان ، ولجأ إلى حصنٍ شرع في بنيانه في تلك الأيام . فقصده الموحدون وأضرموا النار حوله ، فلما رأى ذلك ودع أصحابه ليلاً ، واقتحم — والنار محتدمة — باب الحصن ، فوُجد من الغد ميتاً لا أثر فيه لضربة ولا طمعة . ويقال إن فرسه صرعه ، وسيق فصلب .

وقال غير ابن الأثيري : كان مهلك تاشفين بخارج مدينة وَهْرَان ؛ تردى به فرسه في البحر فهلك وتكسراً جميعاً . وكان قصد الرباط بخارج وَهْرَان على البحر ، في قطعة من أصحابه ، ليقوم به ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور ، فنبه عليه الموحدون أعزم الله ، فطرقوه ليلاً في جمع وافر وأحدقوا بالرباط ، وفيهم أمير الأمراء ، والمخصوص بنصر الألوية ونُجَّح الآراء ، الشيخ المعظم المجاهد المقدس المرحوم أبو حفص عمر بن يحيى — رضوان الله عليه — وارث الممالك ومورثها ، ومطفى نار الفتن والتجسيم مؤرثها^(١) ، الذي كانت الفتوح تنثال عليه ، وتتلاقى لديه ، وكتائب النصر والرعب تسير خلفه وبين يديه . فلما علم تاشفين بهم ، ركب وخرج هو وأصحابه مستميتين ، فوقع تاشفين على من يليه

— ٢٧١/١ - ٢٧٩ . و«مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية» ، حققها ونشرها ليثي پروغنسال (رباط الفتح ١٩٤١) ص ٥ - ٨ من المقدمة .

(١) يلاحظ انتهاز ابن الأبار لأي فرصة للإشادة بأبي حفص عمر بن يحيى جد الحفصيين (انظر أيضاً «إعتاب الكتاب» ، ص ٢٢٦) ، غير عالم أن أبا زكريا حفيده سيكون قاتله . وأبو حفص عمر كان من أوائل أنصار محمد بن تومرت ، وهو من قبيلة هنتاتة ، ويذهب عبد الواحد المراكشي إلى أن اسمه الأول كان فَصْكَة ابن أمزال ، وأن ابن تومرت سماه أبا حفص عمر ، وكان يعرف بعد ذلك باسم عمر إينتي (أي الهنتاق) . أما ابن خلدون فيقول إنه عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي ، وعرف باسم عمر إينتي ، وأنه من قبيلة فَصْكَات ، وفصكات حفيد وانودين .

انظر تعليق ليثي پروغنسال على الترجمة الفرنسية لأخبار المهدي ابن تومرت للبيدق ، ص ٥٠

تعليق ٤ .

من محاربيه ، وظن الأرض متصلة فهوى به فرسه ، وتمزق بأسفل المَهْوَى وانهزم عسكره . وذلك بعد مكثه في الحرب خمسة أعوام إلا شهراً ثلاثة ، ما آوى إلى بلد ، ولا عرج على أهل ولا ولد ؛ ومن يحاربُ أمرَ الله محروب^(١) . واتصل مقتله بابن أخيه يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف — وهو المعروف بابن الصَّحْرَاوِيَّة — وكان بقلسان ، فخرج منها في أصحابه وأسلمها .

[١٤٥-١] وخرج أبو يحيى بن صُمَادِح / وابن الأشيري مهاجرين^(٢) ، فقبلاً .

ولأبي يحيى منهما قصائد مطولات في مدح الأمر العالي^(٣) . وفي هذا الخبر أن ابن الصحراوية كان بقلسان ؛ وقد تقدم عن ابن الأشيري أن أبا بكر بن مزدلي كان والياً عليها في هذه السنة المذكورة ، فلعله وليَ بعده ، أو كان مدداً له في تلك المدة .

(١) هذه العبارة غريبة من ابن الأبار ، وهي تضمنين لشطر من بيت شعر .

(٢) المهاجر — في المصطلح الذي وضعه محمد بن تومرت لطبقات الموحدين — هو من يترك بلده وأهله وينضم إلى الموحدين أثناء قتالهم للمرابطين . وطبقات الموحدين — بحسب ما أورده أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق (ص ٣٢ وما بعدها) — هي : أهل الجماعة ، أهل خمسين ، المضافون إلى أهل خمسين في التمييز ، المهاجرون ، المهاجرون من العبيد ، القبائل ، عامة عبيد المخزن ، المحتسبون ، الغزاة ، الحفاظ ، أهل الحرب .

وقال ابن الأبار بعد ذلك : فقبِلُوا ، أي أن الموحدين قبلوا هجرتهم إليهم . وكان يحدث كثيراً أن ترفض هجرة رجل أو قبيلة ، فيقتل أو تسترق القبيلة كلها .

(٣) الأمر العالي يراد به الدعوة الموحدية .

١٤٢ — أحمد بن الحسين بن قسي ، أبو القاسم

أول التأثيرين بالأندلس عند اختلال دولة الملتمين ، وهو رومي الأصل من بادية شلب . نشأ مشغولاً بالأعمال المخزنية^(١) ، ثم تزهد — بزعمه — وباع ماله وتصدق بثمنه ، وساح في البلاد . ولقي أبا العباس بن العريف^(٢) بالمرية ، قبل إشخاصه إلى مراکش ، ثم انصرف إلى قريته . وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر ، وهو يستجلب أهل هذا الشأن محرضاً على الفتنة وداعياً إلى الثورة في الباطن . ثم ادعى الهداية مخترقةً وتمويهاً على العامة ، وتسمى بـ « الإمام » . وطلب فاستخفى ، وقبض على طائفة من أصحابه فأزعجوا إلى إشبيلية .

(١) ابن الأبار يستخدم هنا المصطلح المغربي ، والأعمال المخزنية هي الحكومية ، ولم يعرف هذا الاستعمال في المصطلح الأندلسي .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي ، أصل أبيه محمد من طنجة « وإنما سمي بالعريف لأنه كان صاحب حرس الليل ، وعريف القوم القيم بأمره » . ثم انتقل إلى المرية ، وهناك ولد ابنه أحمد ، وأراد له أن يتعلم الحياكة ، ولكن الصبي اتجه إلى الدراسة ونبغ في علوم الفقه والأدب ، وكانت المرية مركز الصوفية في الأندلس إذ ذاك ، فالإمام إلى التصوف وطريق التزهد ، واجتمعت حوله طائفة كبيرة من المريدين . وكما هي العادة ، نشأ الخلاف بين هذه الطائفة من الصوفية وبين الفقهاء ، وكان لهم السلطان الأعلى إذ ذاك أيام علي ابن يوسف بن تاشفين . وتزعم مناهضة الصوفية القاضي ابن الأسود ، واستطاع أن يثير مخاوف الدولة من جهة ابن العريف ، فاستقدمه علي بن يوسف مع صاحبيه أبي بكر محمد بن الحسين الميورقي وأبي الحكم بن برّاجان . وقد لقي ابن العريف كل إكرام من علي بن يوسف وأطلق سراحه ، ولكنه مات بعد ذلك بمراكش .

انظر الدراسة التي قدم بها آسبن پلاثيوس لتحقيقه لكتاب محاسن المجالس لابن العريف

(باريس ١٩٣٣) .

ولما دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، أشار من موضع استخفائه على أصحابه « المريدين » أن يسيروا مع محمد بن يحيى الشَّلَطِيْشِي — المعروف بابن القابلة ، وكان يسميه بالمصطفي ، لاختصاصه الكلي بكتابته ، وإطلاعه على أموره ، ثم قتله بعد ذلك — وأمرهم أن يغدروا قلعة ميرتلة^(١) — وهي إحدى القلاع المنيعية بقرب الأندلس — في وقت رسمه لهم من هذه السنة القارضة مُلْك المتونيين بمقتل تاشفين أميرهم في رمضان منها . فكنوا بالرَّبَض — وهم نحو من سبعين رجلاً — وتغلبوا عليها سَحَرَ ليلة الخميس الثاني عشر من صفر منها ، بعد أن قتلوا بواب القلعة . وأعلنوا بدعوة ابن قسي ، وأقاموا على ذلك إلى أن وصلهم في غرة شهر ربيع الأول في جمع وافر من المريدين شعارهم التهليل والتكبير^(٢) ، فصعد إلى قصبتها واحتل بقصرها ، وشرع في مخاطبة أعيان البلاد [١٤٥ـب] مخبباً / وللفتنة [محزباً]^(٣) ، فاستجاب له كثير منهم ، وأولهم أهل يابرة ،

(١) ميرتلة — وتكتب أيضاً مارتلة وميرتولة — في التقسيم الإداري الأندلسي كانت من مدائن كورة باجة Beja في البرتغال الحالية ، وكانت هذه الكورة تلاصق كورة قرطبة من الغرب وتقع جنوب كورة ماردة . ويصف ياقوت قصبتها بأنها أمنع حصون إقليم الجوف ، أي غرب الأندلس . واسم ميرتلة في القديم Myrtilis ، وتقع على نهر وادي آنه ، على ٤٥ كيلومتراً من مصبه . وقد كانت مدار صراع طويل بين الموحدين والنصارى ، حتى سقطت في أواخر العصر الموحدى .

انظر : وصف الأندلس للرازي ، ص ٣٧ . ياقوت : ٢٢٤ / ٨ . الإدريسي ، صفة الأندلس والمغرب ، ص ١٧٥ و ١٧٩ . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميري بمادتين : رقم ١٦٥ ص ١٢٥ (مارتلة) ورقم ١٨٣ ص ١٩١ (ميرتلة) .

(٢) انظر عن ثورة ابن قسي في ميرتلة ، والثورة على المرابطين في الأندلس عامة مقالنا « فصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، أي من ٥٢٠ إلى ٥٤٠ / ١١٢٦ — ١١٤٥ » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٣ سنة ١٩٥٥ ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) بياض في الأصل ، وقد اخترت هذه الكلمة على وزن « مخبباً » السابقة لها ، ولا تخرج الكلمة الناقصة عن هذا المعنى .

ثم أهل شائب . واتسع [على المرابطين]^(١) خرق لم يرَ قَعُوهُ ، وهجم عليهم حادث طالما توقعوه .

وآلت الحال بابن قسيّ إلى أن خلع بميرتلة ، ثم أعيد ، ومنها هاجر إلى الموحدين أعزهم الله ، فقدم عليهم بسلاً متبرئاً من دعاويه ، وتائباً مما أسلفه [من مساويه]^(٢) في ربيع الآخر سنة أربعين . ثم انصرف في الحرم سنة إحدى وأربعين صحبة الجيش الذي افتتح جزيرة طريف ثم الجزيرة الخضراء^(٣) .

(١) بياض في الأصل .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) في التقسيم الأندلسي الإداري كانت الجزيرة الخضراء كورة صغيرة تشتمل على مدن كثيرة ، منها أسطوبنة **Estepona** وجبل طارق (جبل الفتح) وجزيرة طريف (انظر صفة الأندلس للرازي ، ص ٩٧) وقاعدة الكورة هي مدينة الجزيرة الخضراء ، وتسمى أيضاً الخضراء وجزيرة أم حكيم ، نسبة إلى جارية لطارق بن زياد خلفها هناك قبل صدوره لفتح الأندلس . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميري بمادة وافية تعتبر أوفى ما لدينا ، فوصفها ومنطقتها في العصر الإسلامي أحسن وصف وأدقه (رقم ٧٢ ص ٧٣ - ٧٥) . وقد سقطت الجزيرة الخضراء نهائياً في يد ألفونسو الحادي عشر سنة ١٣٤٢/٧٤ بعد موقعة طريف المسماة موقعة نهر طريف - وبالإسبانية **El Rio Salado** - وهي اليوم مركز إداري في مديرية قادس ويكتب اسمها **Algeciras** (الجزيرة) وهي الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة مواجهة لسبتة ، وعلى لسان في البحر حذاءها تقع جبل طارق .

أما جزيرة طريف فليست جزيرة على الحقيقة ، وإنما هي رأس بارز في الطرف الأقصى الجنوبي لشبه الجزيرة جنوب غرب الجزيرة الخضراء بقليل ، وعليه يقوم بلد صغير يسمى اليوم **Tarifa** ، والاسم نسبة إلى طريف بن زرعة الذي أرسله طارق بن زياد في بعث استطلاعي ليختبر أحوال شبه الجزيرة قبل عبور الجيوش الإسلامية . وقد سقطت جزيرة طريف في يد سانشو الرابع ملك قشتالة سنة ١٢٩٢/٦٩٢ وحاول بنو الأحمر استعادتها مراراً بمعاونة المرينيين والبرتغاليين ، وبالفعل استعادوها . وقد وقعت الموقعة النهائية التي أخرجت جزيرة طريف من دار الإسلام في سبتمبر ١٣٤٠ ، واشترك فيها يوسف بن الأحمر وأبو الحسن المريني ضد الإسبان والبرتغاليين ، وانتصر فيها الإسبان والبرتغاليون . وهي الآن بلد صغير وميناء لمراكب الصيد ، والبلد يمتاز بجو عربي مغربي خالص .

ولما فُتحت شِلْبُ تَرَكَ ابن قَسِيَّ عليها والياً ، ومنها كان قدومه في شهر رمضان .
من السنة مهنثا بفتح إشبيلية ، وكان فتحها يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان .
وبعد عوده إلى شِلْبُ ظهر منه غيرُ ما فُورق عليه ، إلى أن صرَّح بالخلاف ،
وداخل الطاغية ابن الرُّيْق صاحب قلنبرية^(١) في إيمانه وإمداده ، فأظهر إجابته
إلى مراده ، وبعث إليه بفارسٍ وسلاح ، فأنكر ذلك أهل شِلْبُ ، وفتكوا به
في « قصر الشَّرَاجِب » منها موضع سكناه في قصة طويلة ، ونصبوا مكانه ابنَ
المنذر^(٢) الأعمى ، معلنين بدعوة الموحدين ، وذلك في جمادى الأولى من سنة
ست وأربعين وخمسمائة . ومن شعر ابن قَسِيَّ بين يدي ثورته :

إذا صَفَرُ الأصْفارِ جاءَ فإنما يحىء بأمرٍ لا يُمرُّ ولا يُحلى
وشهراً ربيعٍ فيهما كلُّ آيةٍ وعند جمادى ينقضى أمدُ الخبلِ
وله :

وما تُدفعُ الأبطالُ بالوعظِ عن حِمَى ولا الحربُ تُطفئُ بالرُّقى والتماثِمِ
ولكنَّ ببيضٍ مرهفاتٍ وذُبُلٍ واردها ماءُ الطَّلَى والغلاصِمِ
ولا صلحَ حتى نطمعَ الخيلَ بالقنا ونضربَ بالبيضِ الرِّقاقِ الصوارِمِ
ونحنُ أناسٌ قد حمتنا سيوفُنا عن الظلمِ لما جُرمُ بالمظالمِ

(١) المراد هنا Alfonso Henrique ملك البرتغال ، وكانت البرتغال إذ ذاك إمارة .

حديثة الانفصال عن ملكة قشتالة وليون .

(٢) أبو الوليد محمد بن المنذر الذي ثار على المرابطين في شلب في نفس الوقت ، وسيتحدث

عنه ابن الأبار فيما بعد .

/ وكان أبو عمر أحمد بن عبد الله بن حرَبُون الشلبي من كتّابه ، وفيه يقول : [١-١٤٦]

أهربُ إلى الله وابراً من أحمد بن قسي
أو فاتخذَه إماماً وكفر بكل نبي
وكتب إليه يمدحه :

لم أرَ جوداً لمتاحٍ علّمني صفة امتداحٍ
قد خلق الله راحتيه من طينة البأس والسماح
ألقي على الجود نور بشرٍ فجاء كالغيث في الصباح
راش إمام الهدى جناحي وليس في الحق من جناح
أريتني اليوم كيف أوري وكنتُ أصلتُ في اقتداحي
تبارك الله أيُّ جدٍّ أفرغَ في قالب المزاح

فقال ابن قسي يحميه :

جددتُ جدّاً بلا مزاحٍ ورُضتُ معتادة الجماحِ
حليته من نتاج فكرٍ حويله ، ثقة القداحِ
دهاءٍ قد لُطِّمتُ بليلٍ وخوِّضتُ لجة الصباحِ
إن سوبقتُ بالرياح جاءت بلقاء في مقدم الرياحِ
أهديتها والزمانُ بادٍ صلاحه لذوى الصلاح^(١)
فكانتِ الزهرَ لانقسامٍ وكانتِ الزهرَ لالتماحِ
فأقبلتُ بي على اغتباقي ليلاً ، ويوماً على اصطباحِ
وكنْتُ اعتدُّ ، أن ربحي في الطعن من أثقف الرماحِ

(١) هذا البيت - كبقية القصيدة - من مخلع البسيط ، وفيه زحاف يسير .

حتى طلعت لدى عجاجٍ كالليل غشى من الفواحى
 فمن لموحٍ من العوالى ومن لموئجٍ من الصفاح
 / فم كسرت من صيادى وتم أقيت بالصلاح
 وبعد ، يا من أعار خلقى حلى من أخلاقه السباح
 فما أنا اليوم فى بساطى هزلٍ وجديٍّ من امتداح
 أعطى إلى الجد صفح رسمٍ باقى ، وللهمزل صفح ماح
 فأعقب المرح حال جدٍ والجد أولى من المراح

[١٤٦، سب]

١٤٣ - محمد بن عمر بن المنذر، أبو الوليد

أحد أعيان شلب ونبائها ، من بيت قديم فى المولدين . وكان من أحسن
 الناس وجهاً ، ولازم التعلم بإشبيلية فى صغره حتى تميز بالمعارف الأدبية والفقهية .
 وولى خطة الشورى^(١) ببلده ، ثم تزهد وانزوى ، ورابط على ساحل البحر فى

(١) خطة الشورى : كان يقوم بأمر القضاء فى الأندلس هيتان : الفقهاء المشاورون
 والقضاة . فأما المشاورون فكانوا جماعة من كبار الفقهاء والعلماء يختارهم الأمير أو الخليفة ليستشيرهم
 فى أمر القضاء والأحكام ، ولم يكونوا هيئة بمعنى الكلمة تجتمع معاً فى مجلس خاص
 كالوزراء . بل كانوا فرادى ، يختار الأمير من يراه صالحاً للشورى ، ثم يبعث إليه بما يريد
 ليفى فيه ، وقد يستقمه إلى القصر . وكان المشاورون أعلى من القضاء مرتبة ، بل كانوا فى مراتب
 الوزراء من حيث المكانة والجاه . وفى بعض العصور تميز بعض المشاورين حتى صار كالرئيس
 لخزاة المفتين ، ويسمى لهذا برأس الفتيا أو رأس المشيخة ، وقد يسمى شيخ المرأسين أو شيخ
 البلد . وكانت المشورة أو الفتيا أهل المناصب التى يطمح إليها الفقيه ، وإن لم تكن منصباً حكومياً
 عند الوظيفة والراتب والسلطان . وكان المشاورون يبدون رأيهم فى القضاء ، فلا يعين كبارهم
 إلا برأيهم . أما القضاة فهم المعروفون ، وأكبرهم قاضى قرطبة أو قاضى الجماعة ، وكان فى منزلة
 الفقهاء المشاورين ، وقد يمتاز عليهم إذا أهلكته ملكاته لذلك . ونظام القضاء فى حجة
 إلى دراسة شاملة .

رباط الرِّيحانة ، وتصدق بماله . وصاحب أحمد بن قسيّ الدّعي ، وامتنح من أجله ، ثم خلع من ذلك . واتّبعه عند ثورته ، وقام في بلده بدعوته ، مستعيناً على ذلك بأبي محمد سيدرأي بن وزير الثائر بياطرة قبله ، وكانت بينهما — قيل^(١) — محبة وصداقة ثم سار إلى حصن مرجيق^(٢) . من أعمال شلب ، وقد ضبطه الملائمون فغلب عليهم وقتلهم .

وسرى خبرهم إلى من كان منهم بباجة ، فطلبوا من أهلها تأمينهم ، على أن يلحقوا بإشبيلية . وإثر خروجهم منها ، دحّاها ابن المنذر في العسكر الذي أمده به ابن وزير — وعليه أخوه أحمد وخاله عبد الله بن علي بن الصّمّيل — ثم قدم هو وأبو محمد بن وزير علي ابن قسيّ في أول شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وقد استقر بقلعة ميرتلة قبل ذلك بشهر ، فسلموا عليه بالإمارة ، وأذعناله بالطاعة ، فأقر ابن وزير علي بباجة وما والاها أميراً ، وابن المنذر على شلب وما والاها كذلك .

ثم انصرف ابن وزير ، وتلوّم ابن المنذر بميرتلة أياماً ، وقد أبدى منافسة ابن وزير وحسادته . ثم لحق ببلده ، حتى إذا اجتمع عسكر أكشونية^(٣) [١-١٤٧]

(١) قرأها دوزي (ص ٢٠٢) : قبّل .

(٢) حصن مرجيق : لم أجد موضعاً بهذا الاسم بالضبط ، وإنما توجد في مديرية الغرب El Algarve في جنوب البرتغال مدينة تسمى Monchique باسم جبال منشيق Sierra de Monchique . ومدينة منشيق تابعة لمركز فارو Faro الإداري وهي مشهورة بمياهها الكبريتية .

(٣) أكشونية : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت أكشونة Ossonoba كورة كبيرة جنوبي كورة باجة وغربي كورة إشبيلية ، وهي تقابل الآن مديرية الغرب El Algarve في البرتغال الحالية . وكانت تضم حصوناً كثيرة ومدناً أكبرها شلب . وكانت كورة بحرية اشتهرت بدور صناعة لبناء السفن أكبرها في قاعدتها شلب . وقد ذكر ابن عبد المنعم الحميري أن أهلها عرب من اليمن وغيرها ، وأن أهل بوادها — لهم دهنها — في غاية الكرم (الروض المطاور ، رقم ٩٦ ص ١٠٦-١٠٧) . ويقوت (معجم البلدان) يكتبها أكشونية بالياء ، وهو خطأ .

إلى مَنْ عنده من الشَّابِيِّين وأصحابه « المرَّيدين »^(١) ، قدم على ابن قَيْسٍ ثَانِيَةً ، يُظْهَرُ الجِدُّ في نصرته والعمل على نشر دعوته ، فسُرَّ بمقدمه وجَدَّدَ له عهده على ما بيده ، وسَمَّاه « العزيز بالله » . ثم عبر وادى آتة متقدماً في جمعه إلى وَلَبَّة فَدَخَلَهَا ، وامتد منها إلى كَبَلَةَ فقاتلها حتى مَلَكَهَا ، بمعاونة يوسف بن أحمد البطروجي أحد مَرَدَةِ الثَّوَارِ من هؤلاء المرَّيدين ، وأنزل من تمنع في بروجها من الملتصين .

وطمح به الاغترارُ إلى إشبيلية — وقد نُمِّيَ إليه أنها حينئذ دون أمير يضبطها — فتحرك من كَبَلَةَ نحوها ، ودخل حصن القصر وطلَّيَاكَةَ من أعمال شَرَفَهَا^(٢) — وقد كثف جمعه وكثر حشده — فانتهى إلى الحصن الزاهر ودخله .

= ويظن أن أكشونية كان الاسم القديم للموضع الذي قامت فيه بعد ذلك شنتمرية الغرب وهي المسماة اليوم فارو Faro . وذهب هوبنر Hübner إلى أن موضعها تقوم فيه اليوم بلدة Entoy على عشرة كيلومترات شمالي فارو التي كانت تسمى Milreu (انظر دائرة المعارف الإسلامية : ١٠٣٧/٣ ب . والترجمة الفرنسية للروض المعطار ص ١٢٩ ، وتعليق رقم ٥٠ . وصفة الأندلس للرازي ص ٩١ . والإدريسى ، فهرس الأعلام .

(١) « المرَّيدون » : يطلق في هذا العصر في الأندلس على أتباع شيوخ الجماعات الصوفية المرباطة التي كثرت إذ ذاك ، ومصدر الحركة كلها المرية وشيخها الكبير أبو العباس بن العريف . وباستثناء ابن العريف وكبار أتباعه الذين ذكرناهم في التعليق الخاص به ، تحوت بقية الجماعات الصوفية إلى جماعات من المحاربين الذين يطلبون الملك ، ومنهم ابن قسي وابن المنذر وابن حمدين . ولم يتجه أحد منهم إلى الجهاد مع اتساع ميدانه إذ ذاك ، بل صرفوا همهم في محاربة المرابطين ، وقد قضى الموحدون على هذه الجماعات .

(٢) شرف إشبيلية يراد بها المرتفعات الواقعة إلى غربها ، وتسمى اليوم جبال أنديفالو Sierra de Andévalo وهي جزء من جبال سيرا مورينا Sierra Morena التي كان العرب يسمونها جبال المعدن . وتمتد منطقة الشرف حتى تصل إلى لبلة وباجة ، وقد قال عنها ابن عبد المنعم الحميري في سياق كلامه عن الزيت الذي اشتهرت به إشبيلية (نقلا عن الإدريسى) : « فيجتمع هذا الزيت من الشرف ، وهو مسافة أربعين ميلا كلها في ظل شجر الزيتون والتين ، أوله مدينة إشبيلية وآخره مدينة لبلة ، وسعته اثنا عشر ميلا ، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة =

وبظاهر اطريانة^(١) انكشف أصحابه أمام طلائفة من جيش أبي زكرياء يحيى بن على بن غانية^(٢) .

= بالحمامات والديار الحسنة ، وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال . ويسمى الشرف الآن Ajarafe . انظر : الإدريسي ، صفة المغرب والأندلس ، ص ١٧٨ - الروض المعطار ، رقم ١٤ ص ١٩ ، والترجمة الفرنسية ص ٢٥ .

(١) كذا في الأصل : اطرِيَانَه ، والأشهر بدون ألف : طرِيَانَة ، وهي Triana ضاحية لإشبيلية موجودة إلى اليوم على الضفة الغربية للوادي الكبير . وقد ذكر أبو الفدا في «تقويم البلدان» (ص ١٦٧) أنه كان يصلها بإشبيلية قنطرة من القوارب ، أما الآن فهناك قنطرة كبيرة تحمل نفس الاسم . ويفهم من كلام ابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار (رقم ١١٧ ص ١٢٧) أن طرِيَانَة كانت حى الصنّاع وأصحاب الحرف . وأصل اسمها Irajana مسماة باسم منشأ القيصر تراچان .

(٢) رأس أسرة بنى غانية الثائرين على الموحدين بعد زوال أمر المرابطين في الأندلس ، وهو من قبيلة مسوفة ثائية القبائل الصنهاجية الكبرى التى قام عليها ملك المرابطين بعد لمتونة . ولد يحيى بن غانية في قرطبة وتلقى العلم فيها ، وكان فارساً نجداً ظهرت بسالته من أول الأمر حتى ليقول ابن الخطيب أنه طلق امرأته - وكانت فائقة الجمال - حتى لا تشغله عن الحرب ، وقد جعله على ابن يوسف بن تاشفين عاملاً على إستجة ، فأبلى بلاءً حسناً في مدافعة ألفونسو المحارب ملك أرغون عندما أغار على الأندلس وأوغل فيه حتى الجنوب .

وكان والد يحيى - وهو على بن يوسف المسوفى - من كبار رجال يوسف بن تاشفين ، وهو الذى زوجه من قريبة له تسمى غانية ؛ وأظن أن الأصح أن يقال غانية ، نسبة إلى غانة . وقد أنجب منها على بن يوسف ابنين : محمداً ويحيى هذا ، عرفا بابنى غانية كما يقال أبو بكر بن الصحرأوية نسبة إلى أمه . وفى أيام على بن يوسف أرسل محمد بن غانية إلى ميورقة ليطوّء ثورة هناك ، وهناك أقام إلى أن قضى الموحدون على سلطان المرابطين في المغرب فاعتصم فيها ورفض البيعة للموحدين . أما أخوه يحيى فقد تولى - كما رأينا - إستجة وأبلى بلاء عظيم ، ثم أقيم عاملاً على مرسية وبلنسية حيث استطاع أن يهزم ألفونسو المحارب سنة ١١٣٣/٥٢٨ - ١١٣٤ ، ثم تصدى لحرب الثائر ابن قسى كما يقول ابن الأبار وهزمه في إشبيلية وحاصره في لبلة . وعندما اشتد ضغط النصارى على قرطبة جاهدتم ما استطاع حتى ردهم عنها ، ثم اتصل بالقائد الموحدى بَرَّاز بن محمد المسوفى الذى ولاه عبد المؤمن بن على على إشبيلية ودخل في طاعة الموحدين ، فولوه قرطبة وقرمونة في مقابل تسليمه جيان . ثم اختلف مع الموحدين ودافعهم عن قرطبة مستعيناً بألفونسو السابع ، وبمعاونته استولى على الجزيرة الخضراء ، ثم تحالف مع الثائر ابن عياض على =

وكان لما بلغه أمرُ كَبَلَة وبلادِ الغرب قد بادر من قرطبة بالخروج لغزو أهلها ، فوافى إشبيلية وابنُ المنذر يعيث في نواحيها ، فعمين من أصحابه لاتباعهم وعبور الوادي نحوهم من هزمهم وطردهم ، وقُتل عدد وافر منهم . فأشرى ابنُ المنذر ليلةً إلى كَبَلَة ، وأقام بها يومين يحصنها ، ثم لحق بِشَلْب وترك يوسف البطروجي بها . فنازله ابنُ غانية في جيوشه ثلاثة أشهر ، وذلك في كآب الشتاء وحدته ، إلى أن بلغه قيامُ ابنِ حَمْدِين^(١) بقرطبة ، فانصرف عنها إلى إشبيلية ، وقد تغير على الناس واشتد حذرُه منهم ، فحرت له معهم ولهم معه قصص طويلة .

ولما سمع ابنُ قَيْسٍ بقيام ابنِ حَمْدِين ، أمر ابنَ المنذر هذا أن يعسكر ويسير هو ومحمد بن يحيى - المعروف بابن القابلة ، كاتب ابن قَيْسٍ وصاحبه - إلى قرطبة طمعاً في دخولها ، وخاطب معهما أهلها يرغبهم في أمره ، ويحرضهم على القيام بدعوته ؛ وكان بالرَّبَضِ الشرقي من له حرص عليه ورغبة فيه ، كأبي الحسن [١٤٧ب] ابن مؤمن وغيره . فتحرك ابنُ المنذر وصاحبه بمسكر شلب ولبَلَة / فوجدوا أحمد بن عبد الملك بن هود سيف الدولة ، قد جاء به أهل قرطبة من بعض ثغورها المجاورة لها وملكوه عليهم ، وطردهوا ابنَ حَمْدِين فأنحاز إلى الحصن

= الموحدون وتمكن من ضم سبتة إلى بلاده وأقام عليها يحيى بن أبي بكر الصحراوي . وقد تجرد عبد المؤمن بن علي للقضاء عليه ، فتغلب عن قرطبة ولجأ إلى خرناطة في ١٠ شعبان سنة ٥٤٣ / ٢٤ ديسمبر ١١٤٨ . أما أولاده فقد لجأوا إلى عمهم محمد بن غانية المسوفي صاحب الجزائر الشرقية ، واشتركوا معه ومع أبنائه في حرب الموحدون . واستمر بنو غانية شوكة في جنب الدولة الموحدية ، وعبروا البحر واستولوا على بجاية في المغرب ، ولم ينته أمرهم إلا في أيام محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين . وقد ألف في تاريخهم ألفريد بل كتاباً وافياً :

ALFRED BEL, *Les Banou Ghanya*, Paris 1903.

(١) حمدين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي ، وسيترجم له ابن الأبار في الحلة . انظر التكلة ، رقم ١١٩ ص ٣٨ . وبغية الملتبس للضبى ، رقم ٣٨٥ .

المعروف بفرنجولش^(١) ، ومنها أعادته العامة ، لما قامت على ابن هود وقتلت وزيره ابن شَمَاح ، وفر هو بعد اثني عشر يوماً من دخولها ولم يعد إليها بعد .

وانصرف أصحابُ ابن قَيسٍ خائبين ، وبعد وصولهم إليه استدعى أبا محمد سيدرأى بن وزير للاجتماع به ، فتوقف وارتاب ، لما كان من قبضه عليه بقصبة ميرتلة وخلعه ثم صرفه إلى حاله أثناء مغيب ابن المنذر في قصد إشبيلية .

ولما يئس منه ابن قَيسٍ أمر ابن المنذر بمحاربته ، فهزمه ابن وزير وقبض عليه واعتقله بمدينة باجة . ثم تذكر يوماً خاله وقد صارت إليه بطلميويس وأعمالها ، إلى ما كان بيده من بلاد الغرب ، فأمر خاله عبد الله بن الصَّمِيل — المذكور قبل — بأن يسير إلى باجة ويستخرج ابن المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك . وأقام في معتقله إلى أن فتح الموحدون ، أعزم الله ، باجة وسائر بلاد الغرب ، فأنقذه الله على أيديهم وعاد إلى شِلْب .

وكان يجالس ابن قَيسٍ في ولايته عليها من قبل الموحدين إلى أن خلع دعوتهم وانسلخ من طاعتهم وداخل النصارى ، فاستراح ابن المنذر إلى وجوه بلده بما كان عنده من باطن أموره ، ودبر معهم — وهو ذاهب البصر — قتله ، فتم ذلك كما تقدم ذكره . وخلقه في ولايته قائماً بالدعوة المهدية خلدها الله ، وذلك في جمادى الأولى سنة ست وأربعين نحيف منه أن يشور ثالثة ، فنقل إلى إشبيلية ، بعد أن خلعه ابن وزير وملاك شِلْب دونه في خبر ذكره ابن صاحب

(١) فرنجولش **Herachuelos** بلدة صغيرة في مديرية قرطبة حالياً ، تقوم على تل مرتفع ، وقد ذكرها ابن عبد المنعم الحميري : رقم ١٢٨ ص ١٤٣ والترجمة للفرنسية ص ١٧١ والتعليقات . وانظر :

الصلاة في كتاب « ثورة المريدين » من تأليفه . وبعد ذلك أجاز البحر إلى سلا ، فتوفي بها سنة ثمان وخمسمائة .

ومن شعره يخاطب ابنته ، وتوفيت بعد خلعه وسمل عيذه :

أواحدثني قد كنت أرجوك خِلْفَةً لعيني ، أختيك اللتين سبا الدهرُ
رضيتُ بحكم الله فيما [أصابني] ^(١) إذا لم يكن يسرّ فيا حبذا العسرُ

[١-١٤٨] / وله ، وبعث به إلى أبي بكر بن المنخل ^(٢) ، في نكبته ، وكان قد استوزره في ولايته :

يا واحد من ذا الوري بولائه ووحيدهم - إن ناظروا - بذكائه
أما الكلام فقد ملكت زمانه نوعاً فسوعاً فانقرض بلوائه
إن شئت فانظّم دُرّ لفظ رائق يحكي حمام الأيك حال غنائه
أوشئت فانثر من كلامك جوهرأ تغلو به الأرباح عند شرائه
يا طالباً علم الكلام تحقّقاً أبشّر قد أدركته بلقائه
إن كنت تبغى كشف غامضه فقد أنجحت ، فانزل وارتبط بفنائه
واسمع إذا ألقى إليك معلماً والقن - هديت الحق - من إلقائه
من كان يرتاد الشفاء لنفسه فليد منه ما يفي بشفائه
ما إن يناظر حائراً في دينه إلا اهتدى وشفاه من أدوائه

(١) بياض في الأصل .

(٢) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنخل المهري الشلبي ، ذكره ابن الأبار في التكملة وأثنى عليه بأنه كان أحد الأدباء المتقدمين والشعراء المجودين ، وروى شيئاً من شعره ، وقال إن له ديوان شعر ، وأنه توفي في حدود سنة ٥٦٠ هـ (رقم ٧٣٠ ص ٢١٤) . وانظر أيضاً :

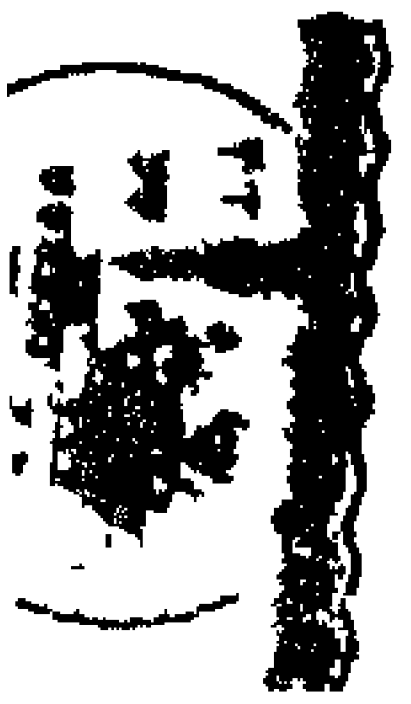
وإذا تخطَّ يمينه^(١) في مُهَرَّقٍ أهدى لنا الحسنَى بحُسن رُوائه
إيه أبا بكرٍ ، وماذا مِن أخٍ ناديتُ غيرَكَ لم يجبْ لندائه
عُثرتَ بى الدنيا فأصبح مُعرضاً عني كَأني لم أدِنْ بإخائه
ومنحتهُ ودى وصنتُ إخاءه من نائبات الدهر حالَ بلائه
ورعيتُ ظَهَرَ الغيبِ حَقَّ جواره وحفظتُهُ من خلفه وورائه
فعدا على ولم أظنَّ بيني وبينه وأنا بحالٍ من أمانِ عدائه
لو أننى ممن تسوء ظنونه ما نالنى ما نال من تِلْقاءه
ما ساء فعلى مرةً فيسوء بى ظنٌّ بمن قدَّمَت لي بولائه
فأجابه بقصيدة ، منها :

/ يا مُلَيْسَى الثَّعْمَى بحسن ثنائه وممَّيزى^(٢) نقداً بصدق ولائه
ألقى على مديحه فليسته بُرداً ، وردَّ على فضلِ ردائه
وأعارنى من خلقه وصفاته فسحبتُ ذيلَ الوشي من صنْعايه
لبَّيك من دايج تيم حبه قلبى ، فصيرَه إلى سودائه
إن كان أبناء الزمان تشبهوا بأبيهم ، ما أنت من أبنائه
فذرِ الحسود لما به فدواؤه فى موته ، وحياته من دائه
لله درِّك من فتى عبثت به أيدى الزمان فأخلفت بعلائه
أفديه من حرٍّ جفاه زمانه لو كان يسمع دهرنا بفدائه
قد كان مثلَ السهم ينفذ فى الوغى والنصرُ معقود برأس لوائه

= المغرب لابن سعيد ، ج ١ ص ٣٨٧ وتعليق الدكتور شوقي ضيف .

(١) الأصل : يمينه ، والتصويب للوزن .

(٢) الأصل : وممَّيزى . وقد صوبها دوزى كما أثبتناها .



شهماً إذا دجت الخطوب تبلّجت
شيمٌ كازهار الربيع وراءها
وإذا ترقى منبراً لئمة
كانت لياليه نجومَ زماننا
وله إلى ابن المنخل أيضاً :

لئن غضّ منك الدهرُ يوماً بأزمة
فليس أسيّ يبتى وإن جلّ ، مثلُ ما
أوجد في الدنيا من الناس صاحبُ
طلبتَ عزيزاً لا يُنال ، فإن يكن
رضيتُ به حظاً من الناس كلهم
فأجابه بقوله :

[١٤٩-١] / تجاف عن الدنيا وعن بردِ ظلّها
فديتُك ، لا تأسف لُدنيا تقلّصتُ
وإن عريتُ جرّد المذاكي وذللّت
وغودرت الراياتُ تهفو كأنها
وكانت ولم تُذعرْ عليك كأنها
طلبتَ وفاء ، والوفاء سجية
رأيتُك تبغى مثلَ نفسك في العلا
ومن ذا [الذي] ^(١) بسمو سؤك للعلا

فإن بروداً لا يدوم حرورُ
وأوحش يوماً منبرٌ وسرير
أسود ، فلم يُسمع لمن زئير
جوامح من ذعرٍ عليك تطير
إذا رفرفت يومَ الهياج نسور
ولكنّها - أمّ الوفاء - نزور
طلابُ لعمري ما أردتَ عسير
ويغفو عن الزلات وهو قدير .

(١) أضفت هذه الكلمة لوزن الشعر.

ولابن المنخل فيه يرثيه من قصيدة :

بأى حسامٍ أدفع الخطبَ بعدما فقدتُ الحسامَ المُنذِرُ البَيَانِيا ؟
وَمَنْ لِي بِمِثْلِ المُنذِرِ مُحَمَّدٍ صديقاً صدوقاً أو خليلاً مصافياً ؟
وقد كنتُ أستاذنى البعيدَ برأيه فيأتى على حكم الإرادة دانيا

١٤٤ - على بن عمر بن أضحى الهداني ، أبو الحسن

هو على بن عمر بن محمد بن مُشَرَّف بن أحمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب — بالغين المعجمة — ابن يزيد بن الشَّير ، من همدان ، في ذؤابة شرفها وصميم بيوتاتها . وقد تقدم ذكر نباهة سلفه ، وقيام محمد بن أضحى بأمر العرب بعد سعيد بن جُودى السَّعْدِيّ في خلافة الأمير عبد الله بن محمد ، ولِمَ سُمي والدُ عبد اللطيف « غريباً » حتى غلب عليه — وإنما اسمه خالد ، وبزيد بن الشَّير أبوه هو الداخل إلى الأندلس .

وولد أبو الحسن على بن عمر هذا بالمَرِيَّة في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وولي قضاءها بعد أبي عبد الله محمد بن يحيى بن الفَرَا الزاهد ، ثم صُرف بعد المنعم بن سَمَجُون^(١) ، وأعيد / بعده ثانية . [١٤٩-هـ]

ولما انقضت دولة الملتزمين في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ودعا ابنُ حمدين

(١) ترجم له ابن الأبار في التكملة (رقم ١٨١٦ ص ٦٥٣) ولم يذكر أنه ولي قضاء المرية . وهو عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمجون اللواتي ، من أهل طنجة ، أبو محمد . نشأ بقرنطة وتفقه على نفر من شيوخها ، منهم أبو علي بن سَكْرَةَ الغساني الصدقي . ولي قضاء إشبيلية بعد صرف أبي مروان الباجي عن ولايته الثانية ، ثم نقل إلى قضاء قرنطة . واستغنى ولم يُعَفَّ . توفي في شعبان سنة ٥٢٤ .

لنفسه بقرطبة ، خاطب أبا الحسن بن أضحي يحضه على اتباعه — وهو إذ ذاك
بغرناطة ، وقاضيا أبو محمد بن سيمك — فقام بدعوة ابن حمدين ، وتابعه أهل
بلده ، وأخرجوا الملتزمين من المدينة ، فتحصنوا بالقصبة ونشب القتال بين الطائفتين ،
فانصل ذلك مدة .

وذكر أبو محمد بن صاحب الصلاة الذي قام عليه ابن أضحي من الملتزمين
هو علي بن أبي بكر — المعروف بابن فنو^(١) ، وهي أخت علي بن يوسف بن
تاشفين . كان أميراً عليها^(٢) بعد أبي زكرياء بن غانية ؛ قال : واستصرخ — يعني
ابن أضحي — بابن حمدين بقرطبة ، وبابن جزى قاضي جيان ، فوجه إليه
ابن حمدين ابن أخيه علي بن أبي القاسم أحمد — المعروف بابن أم العباد —
في عسكر قرطبة ، وعلم بذلك سيف الدولة أحمد بن هود^(٣) ، فعجل ودخل مدينة
غرناطة ، وانصرف ابن أم العباد خائباً .

(١) فنو ابنة يوسف بن تاشفين ، وقد تزوجت ابن عمها أبا بكر يحيى بن أبي يحيى
ابن تاشفين وأنجبت منه علياً المذكور هنا .
ويعرف من بنات يوسف بن تاشفين وأبنائه عدد نوردتهم في الجدول التالي :

يوسف بن تاشفين

أبو بكر سير ،	أبو الطاهر تميم .	علي الفتي	يحيى	أبو محمد	أبو عبد الله	رقية	كوت	تميمة	فتو
أكبر أولاده .	الملقب بالمعز	خلف أباه	إبراهيم	محمد بن عائشة	أوكوتة	أم طلحة			
توفي ١٠٨٦/٤٧٨	يوسف								

ويظن أن غانية التي تزوجت علي بن يوسف المسوق ، والد يحيى بن غانية الذي ذكرناه ،
كانت ابنة يوسف بن تاشفين ، ولكن الغالب أنها كانت من بيت يوسف بن تاشفين .
(٢) أي على غرناطة .

(٣) سيف الدولة أحمد بن هود هذا هو ابن عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستنير صاحب
سرقسطة . وكان عماد الدولة عبد الملك بن هود رجلاً ضعيف النفس شديد الحزم على البقاء
في سرقسطة بأي ثمن ، وكان المرابطون قد استقروا في مرسية وبلنسية وتطلعوا نحو سرقسطة ،

وتعاون ابن هود مع ابن أضحى على قتال الملتزمين وحصارهم بالقصبة أشهراً ، وفي أثناء ذلك جرحوا ولد ابن هود وأسرره وأدخلوه القصبة ، فمات من جراحه فضلوه وكفنوه وجعلوه في نعش ، ودفعوه إلى أبيه فدفنه .

قال : ثم مات القاضي ابن أضحى ، وتقدم ابنه محمد بعده مع الرعية في معاونة ابن هود . ثم إن ابن أبي جعفر قاضي مرسية الثائر بها جيش لمعونة أهل غرناطة ، فلما وصل إلى ما يقرب منها — وهو في ألني فارس — من أهل الشرق — خرج الملتزمون إليه فهزموه وقتلوه وكثيراً ممن كان معه ، ودفن هو بغرناطة . وعجز ابن هود ففر إلى جيان ، وكان قد ترك بها ابن عمه نائباً عنه وابن مشرف البراجلي^(١)

= فتحالف عبد الملك بن هود مع ألفونسو الأول الملقب بالمحارب ملك أرغون ونبرة (٤٩٩ - ٥٢٩ / ١١٠٤ - ١١٣٤) ، فأسرع القائد المرابطي محمد بن الحاج ودخل سرقسطة سنة ١١٠٩ / ٥٠٣ ، وانتقل عبد الملك بن هود إلى حصن روطة Rueda حيث أقام في حماية ألفونسو المحارب وتوفي سنة ٥٢٤ / ١١٣٠ وقام من بعده ابنه أحمد سنة ٥٢٥ / ١١٣١ أو ٥٢٦ / ١١٣٢ ، وكان معدوداً في جملة أتباع ألفونسو المحارب يقاتل من يأمره بقتاله ، مسلماً كان أو غير مسلم . ثم تنازل عن روطة لألفونسو السابع ملك قشتالة في مقابل إقطاع بناحية طليطلة حتى سنة ٥٣٩ / ١١٤٤ - ١١٤٥ وهي السنة التي قتل فيها تاشفين بن علي بن يوسف وبدأت الثورة على المرابطين في الأندلس ، فأسرع أحمد بن هود واحتل قرطبة بمعاونة أهلها وألفونسو السابع . وقد فصلت مدونة ألفونسو السابع *Cronica del Emperador Don Alfonso VII* كيف اتفق أحمد بن هود مع ملك قشتالة على أن يعمل على إشعال الثورة على المرابطين ، وفصلت كذلك كيف اشترك أحمد بن هود في حملة ألفونسو المحارب على الأندلس والتخريب الذريع الذي أنزله ببلاد المسلمين . وبعد ذلك يبدأ أحمد بن هود دوره في هذه الفتنة التي قامت على المرابطين في الأندلس وكادت تقضي على ما بقي منه إذ ذاك لولا تدارك الموحدين إياه ، والمسئول عن ذلك رجال مثل ابن حمدين وابن قسي وأحمد بن هود وسيدراي بن وزير ومن إليهم . وقد تسمى أحمد بن هود هذا بسيف الدولة ، وتكتبه المراجع الإسبانية Zafadola .

Cf. : Fr. CODERA, *Decadencia y desaparición de los Almorávides*, p. 71 sqq.

(١) الأصل : وإن مشرف ، ويغلب أن صحتها ما أثبتناه . والبراجلي نسبة إلى البراجلة ، وهي مجموعة من أقاليم كورة البيرة كل منها تسمى برجالة : برجالة أندرّة ، وبرجالة أبي جرير ، وبرجالة قيس ، وبرجالة النليول وغيرها :

فوفيا له . وتغلب المثلثون على مدينة غرناطة ، وفر محمد بن على بن أضحى إلى المنكب ، ثم منها إلى حصن بنى بشير .

وحكى غيره أن ابن أضحى لما دعا لابن خندين في رمضان سنة تسع وثلاثين ، تمنع المثلثون بقصبة غرناطة — وكانوا جماعة أهل بأس ونجدة ، فيهم بقية أمراءهم ونقاوة أبطالهم — فحاربوه ثمانية أيام ، إلى أن وصل من جيان بعض قواد الثغر مدداً لابن أضحى ، فاضطربت^(١) محلته بالمصلى ، وانضاف إليه من [١٥٠ - ١] غرناطة جمع وافر ، / نخرج إليهم المثلثون من الغد ، وهزموم أقبح هزيمة ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . ثم عادوا إلى القصبة ، وضيقوا على ابن أضحى وأهل البلد ، ومنعوم المرافق ، ودامت الحرب بين الطائفتين بداخل المدينة وخارجها ، إلى أن ورد ابن أبي جعفر القائم بمرسية في جموع وافرة — يقال إنهم كانوا اثني عشر ألفاً ، بين خيل [ورجل]^(٢) نخرج إليه المثلثون مستميتين ، وقد اشتدت شوكتهم وكثفت جماعتهم ، فهزموه وقتل ابن أبي جعفر ، ولم ينج من عسكره إلا القليل ؛ وانصرف المثلثون إلى معقلهم ظاهرين على عداتهم ظافرين في حركاتهم .

ثم قدم ابن هود ، ودخل غرناطة من باب موزور ، ومعه ابنه عماد الدولة نخرج إليه ابن أضحى راجلاً ، وسلم عليه وأنزله . واستسقى ابن هود ، فأمر له ابن أضحى بقدر زجاج فيه ماء معد لإتلاف من يشربه ، فعند إخراجها صاحبت به العامة : « لا تشربه يا سلطان ! » ، وحذرت العاقبة ، فحجل ابن أضحى ، وتناول القدح وعب فيه ينفي الظنة بذلك عنه ، فمات من ليلته .

ونزل ابن هود بعض البساتين بظاهر غرناطة ، وأقام هناك عشرة أيام ،

(١) الأصل : فاضطرب .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ثم انتقل إلى القصبه الحمراء ، والقتالُ بين المثلثين وأهل المدينة متصل . وفي بعض تلك الأيام أئخذوا ابنه جراحاً وأسروه ، فمات من ليلته ، فدفنوه إلى أهل البلد مكفناً ليدفنوه أو يحملوه . ولم يُقيم ابنُ هود بعد ذلك إلا نحو شهر في مظالم وتنويع مغارم ، حتى لَهَمَ به أهلُ غرناطة ، فانخزل عنهم ايلاً وفر إلى مُرسية ، وقيل إلى جَيَّان .

وقام بعده بأمر غرناطة أبو بكر محمد بن أبي الحسن بن أضحى ، وذلك في أول سنة أربعين وخمسمائة ، وأقام ثمانية أيام يُغَادِي وَيُرَآوَح بالقتال ، حتى هرب من ليلة الجمعة القابلة إلى المنكب^(١) . وعند هربه تصالح أهلُ المدينة والمثلثون — وأميرُهم علي بن قنؤ قد توفى ، خلفه ميمون بن يَدَّر بن ورقاء — وقيل : بل دخلها عنوةً على أبي علي المنصور بن محمد بن الحاج في نيابته عن يحيى بن علي ابن غانية ، وأقام إلى أن أسلمها إلى الموحدين أعزم الله سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وكان أبو الحسن بن أضحى — في حدائته وبعدها — أبيّ النفس ، على الهمة ، فقيهاً يناظرُ / عليه ، أديباً ، صاحبَ بديهة . قرأتُ بخط أبي عبد الله [١٥٠هـ] محمد بن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عَبَّاد البَلَنْسِيّ ، وحدثني الحافظُ أبو الربيع ابن سالم عنه ، وأنشدني ذلك غيرَ مرة ، قال : قال أبي : أنشدنا صاحبُنا أبو بكر بن الغفائري بَبَلَنْسِيَّة — وكتبها لي بخطه — قال : أنشدني الشيخ المحدث^(٢)

(١) المنكب ، تسمى اليوم Almunécar وهي فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مطريريل Motril في مديرية غرناطة ، وهي على ٢٣ كيلومتراً غرب مطريريل . وفي المنكب قزل عبد الرحمن الداخل صلحاً هرب إلى الأندلس من المغرب .

انظر : الإدريسي ، ص ١٩٩ — البرزخ المطار رقم ١٧٩ ص ١٨٦ والترجمة الفرنسية

ص ٢٢٥ .

(٢) الأصل : الم ، وقد أكتفينا بما يناسب للنص .

أبو حفص عمر بن محمد بن عمر اليحصبي قال : أنشدني القاضي أبو الحسن بن أضحى لنفسه ، وقد دخل مجلس علي بن يوسف يراکش ، فلم يهتبل به أحد ، ونزل حيث انتهى به المجلس ، فحضره هذان البيتان فاستأذن الأمير في إنشادهما فأذن له فقال :

نحن الأهلة في ظلام الحندين حيث احتلنا ثم صدر المجلس
إن يبخل الزمن الخوون بمرنا ظلما فلم يذهب بعز الأنفس
فأمر بترفيه في المجلس — لو قال « يذهب » مكان « يبخل »
لكان أجود .

وله :

يا ساكن القلب رفقاكم تقطعه
يشيد الناس للتحصين منزلهم
والله والله ما حي لفاحشة
الله في منزل قد ظل متواكا
وأنت تهدمه بالعنف عيناكا
أعاذني الله من هذا وعافاكا
وله :

أزف الفراق وفي الفؤاد كلوم
قل للأحبة : كيف أنعم بعدكم
قالوا : الوداع يهيج منك صباية
قلت : اسمحوا لي أن أفوز بنظرة
ودنا الترحل والحمام يحوم
وأنا أسافر والفؤاد مقيم ؟
ويثير ما هو في الهوى مكتوم
ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم
وله :

روحي لديك فرديه إلى جسدي
بالله زوري كثيرا لا عزاء له
من لي على فقدته بالصبر والجلد ؟
وشرفيه ومثواه غداة غبد

لو تعلمين بما ألقاه يا أملى بايعتني الودَّ تُصَفِّيه يداً بيدٍ
عليك مني سلام الله ما بقيت آثارُ عينيك في قلبي وفي كبدي [١-١٥١] !
وله :

وشمعةٍ يحملها شادنٌ يسترُ وجهاً قريناً بها
فكان كالشمس على نورها يكسِفُ منها البدرُ حيث انتهى
وله ، وكتب به إلى ذي الوزارتين أبي جعفر بن أبي [...] ^(١) القرطبي
معتذراً :

ومستشفع عندي بخير الوري عندي وأولاهم بالشكر مني وبالحد
وصلت فلما لم أقم بجزائه لففت له رأسى حياء من المجد
وله في الزهد يخاطب [...] ^(٢) :

على ، قد آن أن تتوبا ما أقبح الشيب والعيوبا
شبت ، وما ثبت من بعيدٍ سوف ترى نادماً قريباً
تركب للهو والمعاصي صعباً وتستسهل الذنوبا

(١) سقطت بقية الاسم من الأصل ، ولم أجد من أهل هذه الفترة من يحتمل أن يكون المراد هنا إلا أبا جعفر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الخير الأنصاري المعروف بالموزوري ، من أهل سرقسطة وسكن قرطبة ، وهو من تلاميذ أبي علي الصدي ، ذكره ابن الأبار في المعجم ، رقم ٧ ص ١١ .

(٢) هنا أيضاً سقط اسم المخاطب ، ويفهم من الأبيات أن اسمه على . والغالب أنه قال هذه الأبيات مخاطباً نفسه .

فُنِيَ إلى عبد الله من القول — عن القاضي وغيره — ما أزعجه ؛ ليلة يوم الأربعاء ، الثامن عشر من رمضان ، أنفذ عياله وأثقاله إلى شاطبة ، وأصبح هو بالولجة^(١) . فدار بينه وبين الجند ما أوجب تمزيق خبائه ، وللغور أخذ في الفرار مع قومه . فلما استقروا بشاطبة ، أغارت خيله على جهات بلنسية فاكتسحت ما وجدت ، وتظلم الناس إلى ابن عبد العزيز ، ورغب إليه الجند والعرب ووجوه أهل البلد في التأمر عليهم ، فأبى وقال : « اختاروا من شيوخكم من تقدّمونه » ، فاتفقوا على بعض الممتونين الباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله ابن محمد . وتمشت الحال على هذا أياماً .

وأراد هذا المجتمع عليه من لمتونة أن يقبض على ابن عبد العزيز ، فلم يستطع . ثم خامره الروح ، فالحق بشاطبة ، هو والباقون معه من أشياعه . وحينئذ وقع الإجماع على ابن عبد العزيز ، فاستخفى إلى أن انفرد به أبو محمد عبد الله ابن عياض قائد الثغر ، وعبد الله بن مرّد نيش وقال له : « هذا الأمر لا بد لك منه ، والرأى المبادرة » ، فقبل ذلك وتم [أمره]^(٢) والبيعة له يوم الاثنين الثالث من شوال^(٣) ، وولى عبد الله بن عياض الثغر وما والاها ، وضم إلى نظره ما كان بأيدي أصهاره بني مرّد نيش قبل ظهورهم . والمثمون أثناء ذلك يغيرون على الجهات ، ويعيشون فيما يجاورهم من البسائط والمعاقل ، فاستدعى ابن عبد العزيز أجناد الثغر ، ونهض بهم إلى منازل شاطبة . فأنحدر المثلثون من قصبتها إلى المدينة ،

(١) ولجة بلنسية ، سبق أن تكلمنا عنها .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٣) يلاحظ تسرع أولئك الناس في الحركة والوثوب بالأمر ، فإن بيعة ابن حمدين في قرطبة

كانت في ١٥ رمضان ٥٣٩ هـ ، ولا بد أن الخبر وصل بلنسية بعد أيام ، وفيما بين وصول هذا الخبر و ٣ شوال حدث كل ذلك بما فيه من اتفاق ونقض وهروب وغارة وحرب واختفاء ، ثم ظهور وعرض وتمنع وقبول .

ونهبوا الديار وسبوا النساء ، وقدم ابن عبد العزيز على هذه الحال يوم الجمعة الثامن عشر من شوال ، فكانت بينه وبينهم مواقف ظهر فيها عليهم ، حتى لجأوا إلى القسبة منهزمين .

ووصل أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبي جعفر بعسكر مرسية في آخر شوال ، فأقاما على حصار شاطبة ، متفقين في الظاهر ، مختلفين في الباطن ، وكل واحد منهما يرى أنه أولى بها .

[١٥٢-١] واضطربت / مرسية إثر ذلك ، فتوجه إليها ابن أبي جعفر مصلحاً ومسكناً ، ثم عاد إلى حصار شاطبة . ووصل ابن عياض بأهل الثغر معيناً لأميره ابن عبد العزيز ، فلم يجد عبد الله بن محمد بدءاً من الفرار ، ولحق بالمريّة في خبر طويل ، ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد بن علي ، وهو بميوزقة قد ملكها واستقر فيها برأى أخيه أبي زكرياء يحيى بن علي ، عند ثورة العامة بإشبيلية . منصرفه من حصار كلبلة .

ولما هرب عبد الله من قسبة شاطبة استولى عليها ابن عبد العزيز صلحاً ، فخصنها وعيّن لها ضابطاً وصدر إلى بلنسية ، فيقال إنه دخلها راكباً على جمل . في زى الجند ، وجُددت له البيعة يوم قدومه ، وذلك في صفر سنة أربعين . وانصرف ابن أبي جعفر إلى مرسية ، ثم قتل على إثر ذلك بجهة غرناطة ، فانضافت لقنت^(١) وأعمال شاطبة إلى ابن عبد العزيز .

(١) لقنت : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت لقنت مدينة من مدائن كورة تدمير (صفة الأندلس للرازي ، ص ٧٠ - ٧١) ، وقد وصفها الإدريسي (صفة الأندلس والمغرب ، ص ١٩٣) - ونقل ابن عبد المنعم الحميري نص كلامه (رقم ١٦١ ص ١٧٠) - بأنها مدينة صغيرة ، بها سوق ومسجد جامع ومنبر ، ويتجهز منها بالخلفاء إلى جميع بلاد البحر ، وبها قسبة منيعة جداً ، وعلى صغرها تنشأ بها المراكب السفّرية والحراريق . ولقنت قرصة قديمة سماها الرومان Ilicitanus ، ومن هنا جاء اسمها في العربية ومنه اسمها اليوم أليكانتي Alicante ، وهي من المدائن السبع التي صالح عليها تدمير ، ولهذا دخلت في كورة تدمير في التقسيم الإداري . -

وعند استقلاله بالرياسة خاضه الجند ، ولم تَفِ الجبايةُ بالواجبات ، فتعللوا عليه بذلك ، وعزموا على خلعه ، وخاطبوا ابنَ عِيَّاض يستعجلونه في الوصول إليهم من مُرسية — وكان قد ملكها بمدخل أهلها وخلعَ أبا عبد الرحمن بن طاهر^(١) منها في العاشر من جمادى الأولى من سنة أربعين المذكورة — فلم يرُع ابن عبد العزيز إلا إحدائق الجند بقصره يومَ الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى المذكور — وحكى ابنُ صاحب الصلاة أن ذلك كان في الخامس والعشرين منه — فخرج راجلاً متنكراً ، وتدلَّى من سور بلنسية ليلاً ، واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبال المَرِيَّة ، واجتمع بالقائد محمد بن ميمون ، فقبض عليه وقيده وفاءً لبني غانية ، وأقام عنده إلى أن دفعه إلى عبد الله بن محمد^(٢) ، عدوَّ ابن عبد العزيز وطريدته من بلنسية وشاطبة ، وقد ورد على المَرِيَّة في قِطْع

وقد اضمحل أمر لقنت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ، وتنافس عليها الطامعون حتى عرض صاحبها أبو جميل زيان بن مردنيش على خايمة الأول المعروف بالقاتح ملك أرغون بيعها إليه مع ميورقة في مقابل ٥٠٠٠ بيزانت من الذهب (البيزانت نحو دينار) ، ولكن هذا رفض العرض لأن لقنت وإقليمها كانت من النواحي التي اتفق ملوك النصارى على أن تكون من نصيب ملك قشتالة . وقد استولى عليها فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ١٢٥٨/٦٥٦ بعد حصار قصير . ولقنت اليوم عاصمة مديريّة بحرية تحتل نفس الاسم تقع جنوب مديريّة بلنسية وشرق مديريّة البَسِيط ومرسية . وهي من أكبر موانئ الساحل الشرقي لإسبانيا .

٢ Cf. MADDOZ, *op. cit.* I., 611 sqq.

(١) هو حفيد أبي عبد الرحمن بن طاهر الذي ترجم له ابن الأبار فيما سبق .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي ، وهو من بني غانية ، وابن أخى

يحيى بن غانية .

ميورقة برسم اتباع العدو ، ففكَّ عبدُ الله عن دمه ، واحتمله معه مقيداً ؛ ونقم
الناسُ على ابن ميمون^(١) فعله .

ويقال إن عبد العزيز لما غدر به الجندُ فر إلى قُلَيْبِيرة^(٢) ، ثم رجع إلى
بلنسية مستتراً ودخل داره القديمة ، فعثر على خبره وطلب حتى أحرق بعضُ
[١٥٢-ب] / دوره ، فخرج ثانية مستخفياً إلى مرسية ، واقتفى أثره يوسفُ بن هلال إلى مقربة
منها ، فقاته . وأقام هو بمرسية ثلاثة أيام ، ثم خرج منها إلى المرية فقبض عليه
ابن ميمون .

ولما خلعه الجندُ قدَّموا عبدَ الله بن محمد بن سعد بن مرْدَنِيش نائباً عن ابن
عِيَّاض ، وأسكنوه قصرَ بلنسية ، وقدم ابن عِيَّاض في آخر جمادى الأولى
— وقد وافته بيعةُ أهلها في طريقه إليها — فأقام بها ناظراً في أمورها ومصلحاً
لثغورها . ثم عاد إلى مرسية ، وترك صهره أبا محمد بن سعد ببلنسية أميراً عليها
من قبله — وهو عمُّ أبي عبد الله بن سعد ، أمير الشرق بعد ذلك والمعروف

(١) محمد بن ميمون هو أمير البحر أيام المرابطين ، وكانت له في أيامهم مواقع كبيرة
في الدفاع عن الجزائر الشرقية وسواحل بلنسية وتدمير ، وهو الذي أسر الربيع تير القائد القطلوني
الذي ذكرناه آنفاً ، ثم دخل بعد ذلك في خدمة الموحدين وقاد أسطولهم .

(٢) الأصل قُلَيْبِيرة ، ولم أجد في ناحية بلنسية موضعاً بهذا الاسم ، والموجود *Cullera*
فرجح عندي أنها المرادة هنا . وقلييرة ميناء صغير جنوبي بلنسية ، وهو تابع لمديريتها على مقربة
من سُوَيْقَة Sueca جنوبي البحيرة *Albufera* المعروفة هناك . وقد ذكر مادوث أنها كانت
تسمى أيام المسلمين *Colira* (قليرة) . وقد سقطت قلييرة في يد خايمة الأول ملك أرغون سنة
١٢٣٦/٦٣٤ ، أسلمها إليه صاحبها جميل أبو زيان ، فأقطعها ملك أرغون لفرسان المعبد
لمواصلة الحرب ضد المسلمين .

بصاحب البسيط^(١) ، لأنه استشهد فيه مع سيف الدولة بن هود . وقبض أهل

(١) البسيط : هذه واحدة من المرات القلائل التي ورد فيها اسم « البسيط » في مراجعنا العربية ، مع أن هذا الموضع الصغير أعطى اسمه لمديرية كبيرة في إسبانيا اليوم Albacete وقاعدتها تحمل نفس الاسم . ويغلب على الظن أن موضع مدينة البسيط الحالية هو موضع الحصن الذي كان يسمى « اللُّجج » ، لأن ابن الأبار يقول بعد ذلك بمناسبة مقتل عبد الله بن سعد بن مردنيش : « بالموضع المعروف باللُّجج وبالبسيط على مقربة من جينجالة Chinchilla . فأما حصن اللج فقد ورد في الروض المطار (مادة شلبطرة ، ص ١٠٨) باسم حصن اللجج ، وهو خطأ . وفي مادة « العقاب » (Las Navas de Tolosa) قال الحميري إن الناصر الموحدى في طريقه إلى المعركة عسكر قرب حصن شلبطرة واللج ، واستولى عليهما ، مما يفهم منه أن حصن اللج قريب من شلبطرة Salvatierra ، وهذا يصدق على مكان مدينة البسيط الحالية . وقد ذكر الضبى « البسيط » في مقدمة « البغية » التي يوجز فيها أحداث الفترة التي يتكلم عنها ابن الأبار هنا ، فقد قال إن المستنصر بن هود خرج مع ابن عياض « إلى غزوة البسيط » واستشهد بها في نصف شعبان سنة ٥٤٣ (البغية ، ص ٣٣) .

وأما جنجالة فسمى الآن Chinchilla de Monte de Aragón وهي بلدة صغيرة في مديرية البسيط على ١٥ كيلومترا جنوب شرق العاصمة . وقد ذكرها الإدريسي (ص ١٧٥) وقال إنها مشهورة ببسط الصوف ، وذكرها أيضاً ياقوت بالإمالة الأندلسية : جنجيلة ، ومن هنا أتى النطق الإسباني : تشنشييّا . ويفهم من هذا كله أن البسيط كان يطلق على حصن اللج أو حصن آخر مجاور له في منطقة واسعة تكثر فيها الحصون مثل شلبطرة . وكان إقليم البسيط على هذا يشمل القسم الشمالى الشرقى من كورة مرسية وجزءاً من إقليم المانشا (La Mancha) من اللفظ العربى « المَنجَجى » وهي الأرض المرتفعة - وجزءاً من إقليم قشتالة الجديدة ، أى ما يقابل مديرية البسيط الحالية . ولم تشتهر هذه الناحية إلا في أواخر العصور الإسلامية ، وقد كانت أراضيها موزعة بين كور قرطبة وغرناطة ومرسية وبلنسية . وبعد انهيار التنظيم الإسلامى انكشفت كورة قرطبة إلى الغرب وغرناطة إلى الجنوب ومرسية وبلنسية إلى الشرق ، ونتجت عن ذلك مساحة واسعة تقوم فيها حصون متفرقة مثل اللج وشلبطرة وجنجالا أطلق عليها اسم « البسيط » ، وقد سمى حصن اللج بحصن البسيط نسبة إلى هذه المساحة الواسعة . وقد سقطت حصون البسيط وجنجالا وشلبطرة والإقليم كله بعد سنة ١١٤٦/٥٤١ بقليل .

وإلى سنة ١٤٠٣ كانت « البسيط » بليدة صغيرة تابعة لجنجالا ، ثم مدنت - أى اعتبرت مدينة من الناحية الإدارية - سنة ١٤٠٥ ، ثم وسعها الملكان الكاثوليكيان - فرناندو وإيزابيلا - سنة ١٤٩٢ ، فأنشأ إلى جانبها مباني جديدة مازالت تزيد مع الزمن حتى قامت مدينة جديدة إلى جانب القديمة ، وأصبح موضع هذه الأخيرة يعرف باسم Villavieja (البلد القديم) أو =

الثغر على أبي جعفر أحمد بن جُبَيْر^(١) — وهو والد أبي الحسين الأديب الزاهد —
واحتملوه مقيداً إلى حصن مُطَرَّ نِيش^(٢) — وهو من أُمْنَع معاقل بلنسية ، وسُجِن
فيه إلى أن فدى نفسه بثلاثة آلاف دينار ، إلى ما نُهَب له من دفاتر وذخائر ،
فسُرِّح وتوجه إلى شاطبة واتخذها داراً .

Villa cerrada = (البلد المغلق) . وهذه التسمية الأخيرة تدل على أن المراد حصن اللج القديم
وما يحيط به من أرض مسورة ، ثم عرف هذا القسم القديم من البلد — ولا زال يعرف إلى اليوم —
باسم Alto de la Villa (أعلى البلد) إشارة إلى أنه يقوم على مرتفع ، في حين نشأ البلد
الجديد على السفح . وقد أنشئت مديرية البسيط Provincia de Albacete بمرسوم ملكي
صدر في يناير ١٨٣٤ ، واعتبرت مدينة « البسيط » عاصمتها .

ولما كانت ناحية البسيط وحصونها لم تذكر في الحوليات الإسلامية إلا في أواخر العصر
المرابطي فإننا نستنتج من ذلك أن ذكرها كان نتيجة لضياح كثير من الأراضي من أيدي المسلمين
موصوبة الثبات في نواح عامرة مرغوب فيها ، ومهددة تبعاً لذلك ، فكانت حصون مثل
الـج وجنـجالة وشـلبطـرة ملجأً ومعتصماً لمغامرين من طراز سيف الدولة بن هود ومروان بن
عبد العزيز . وقد ارتبطت أسماء هذه الحصون بكثير من المآسي التي شهدتها هذه الحقبة وما تلاها ،
ففيها — كما سيروى ابن الأبار — قتل — أو انتحر — سيف الدولة بن هود ، وعلى حدودها الجنوبية
المتاخمة لمديرية جيان وقعت معركة العقاب Las Navas de Tolosa في منتصف صفر
١٧/٦٠٩ يوليو ١٢١٢ التي انهزم فيها محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين ، وتلاشى بعد ذلك
رويداً ورويداً سلطان الموحدين في الأندلس ، وتلاشى أيضاً الأمل في الثبات على جبهة الوادي
الكبير ، وارتد المسلمون إلى ما يلى ذلك جنوباً ، وتمكنوا من الثبات على خط نهر شنيل ، مكنفين
بما يقع جنوبه .

انظر — بالإضافة إلى المراجع التي ورد ذكرها في متن التعليق — مواد جنـجالة وشـلبطـرة
والعقاب في الروض المعمار — دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مادة البسيط Albacete
بقلم فرديناند زايبولد ، ج ١ ص ٢٥٣ ب ، و :

MADOZ, op. cit., I, p. 243 &qq.

AMBROSIO HUICI MIRANDA, *Las Grandes Batallas de la Reconquista durante las Invasiones Cristianas* (Madrid, 1956) p. 231 &qq.

(١) الرحالة ، صاحب الرحلة المعروفة .

(٢) مُطَرَّ نِيش Montornes مدينة صغيرة اليوم في جنوب مديرية برشلونة في أرض

مرتفعة كثيرة الحصون . وفي العصور الإسلامية كانت من حصون الحدود بين كورة طرطوشة —

واستطالت الأيدي على سائر أصحاب ابن عبد العزيز ، وانتُهب القصر أياماً ؛
وعند إشخاصه مقبوضاً عليه إلى ميورقة سُجن في بيت مظلم مُطَبَّق كان لا يعرف
النهار فيه من الليل ، وترك أوقاتاً دون غذاء ولا ماء ، وأقام مسجوناً نحواً من
عشرة أعوام وقيل اثني عشر عاماً . وفي سجنه ذلك قال قصيدة يعارض بها
أبا مروان الجزيري^(١) أولها :

يا نفسُ دونكِ فاجزعي أوفاصبري طلع الزمانُ بوجهه المتعمرِ
وهي طويلة ضعيفة لم يمر له فيها كبيرُ إحسان ، فلذلك تركتها . ثم إنه
تخلص من معتقله بسعي أبي جعفر بن عطية الوزير في ذلك ، حتى خطب
إسحاق بن محمد بن علي بتسريحه وقد ولى ميورقة بعد قتل أبيه محمد وأخيه
عبد الله^(٢) في سنة ست ، بل سبع ، وأربعين وخمسة ؛ وجنح إلى الموحدین
أعزهم الله فامتثل إسحاق ذلك ، ووجهه به إلى بَجَاية ومنها توجه إلى مراکش ،

= وكونتية برشلونة . وبعد زوال الخلافة وخلال عصر الطوائف تداعى خطا الحصون الذي كان
يؤمن بلاد الإسلام في هذه الناحية ، ولم يبق للمسلمين إلا بعض الحصون المنيعة مثل مطرنيش هذا ،
وعندما استولى السيد القمبيطور على بلنسية صارت مطرنيش في يد ملك أرغون ، وعندما استعاد
المرابطون بلنسية عاد حصن مطرنيش إلى الإسلام ، ثم خرج من أيديهم عندما استولى خايمه الأول
على بلنسية وتوابعها . ويسمى الحصن في بعض النصوص اللاتينية : Mons Orenes (جبل
أورنس) .

Cf : R. MENÉNDEZ PIDAL, *La Espana del Cid*, I, p. 504, 533, II, 771 — 772.

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، وقد سبق التعليق عليه . والقصيدة
المشار إليها هنا قصيدة « في الآداب والسنة » كتب بها إلى بنيه ينصحهم ، ومنها :

واعلم بأن العلم أفضل رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر

انظر : جذوة المقتبس للحميدي ، رقم ٦٢٤ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) هؤلاء جميعاً من بني غانية .

فسعى له ابن عطية في حضور المجلس السلطاني . ولما طوب (١) قال يغرى به .
ويحرض عليه ، غامطاً حقّه وكافراً يده :

[١-١٥٣] / قل للإمام - أطال الله مدته قولا تبينُ لذي أُبِ حقائقه :

إن الزّراجين (٢) قومٌ قد وترتهم وطالبُ الثّار لا تؤمنُ بوائقه

وللوزير (٣) إلى أربابهم مِيلٌ لذاك ما كثرتُ فيهم علائقه

فبادرِ الحزمَ في إخماد نارهمُ فربما عاق عن أمرٍ عوائقه

الله يعلم أني ناصح لكم والحق أبلج لا تخفى طرائقه

همُ العدوُّ ومن ولاهمُ كهْمُ فاحذر عدوك واحذر من يصادفه

فكانت هذه الأبيات من أقوى الأسباب في قتل ابن عطية رحمه الله . وله
أيامٌ خموله بالمغرب يصف حاله :

أفٍ لَدُنِيَا تَقَلَّبْتُ بِى تَقَلَّبَ الْمُسَيِّ وَالْعُدُوُّ

قَد كُنْتُ فِيمَا مَضَى عَزِيزاً مُسَامِي النَجْمِ فِي الْعُلُوِّ

خَالِي الْآنَ لَوْ رَأَاهَا بِكِي لَهَا رَحْمَةٌ عَدُوِّي

وتوفي بمراكش سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ومولده سنة خمس وخمسمائة .

(١) أي ولما طوب أبو جعفر بن عطية ، وقد سبق أن فعلنا ذلك .

(٢) الزراجين والزراجنة صفة يستعملها بعض كتاب الموحدين ويعنون بها المرابطين .
جاء في أخبار المهدي محمد بن تومرت للبيق (ص ١٢) : « جماعة الملثمين الزراجنة الساكنين
بالسوس دمرهم الله » ، وفي ص ٢٨ : « وكان الناس في انقمال مع الزراجنة » ، وقال في تفسير
عبارة قالها ابن تومرت بالبربرية : « يعني بالباطل الزراجنة وما كانوا عليه » . الخ . وقال ابن
القطان في تفسير هذا اللفظ إنه جمع زَرَاجَان وهو طائر أسود البطن أبيض الريش شبه ابن تومرت
به المرابطين لأنهم « بيض الثياب سود القلوب » .

(انظر نظم الجمان بتحقيق الدكتور محمود مكى ص ٨٥) .

(٣) يريد بالوزير أبا جعفر بن عطية .

١٤٦ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ابن طاهر القيسي ، أبو عبد الرحمن

لأهل بيته في قدم الرئاسة وكرم السياسة ذكر ماثور وأثر مذكور ، وقد أوردتُ كلامَ أبي مروان بن حَيَّان في أوَّليتهم . وكان أبو عبد الرحمن الأولَ منهم في الرسائل ، كإبي عبد الرحمن الأخير في علوم الأوائل ، ذلك للبيات والنشيق ، وهذا للنظر والتحقيق .

وَأول^(١) من ثار بمرسية بعد انقراض الدولة الممتونية أبو محمد بن الحاج الأورقي - وهو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم - قدَّمه أهلُ مرسية فدعا لابن حَمْدٍين أياماً من شهرى رمضان وشوال سنة تسع وثلاثين وخمسمائة - وهى السنة التى كثر فيها الثوار بشرق الأندلس وغربها من القضاة وغيرهم - ثم أظهر التبرم بما حُجِّل ، وأحب الانخلاع مما قُلِّد .

واتفق أن وجه سيف الدولة بنُ هود قائداً من قواده يعرف بعبد الله بن فتوح/ الثَّغْرَى إلى مرسية ، فأخرج ابنَ الحاج منها للنصف من شوال المذكور ، [١٥٣-ب] ودعا لابن هود ، ثم أخرج .

(١) يورد ابن الأبار فيما يلى موجزاً لأحداث شرق الأندلس خلال هذه الفترة المضطربة التى مرت بين زوال أمر المرابطين واستقرار الأمر للموحدين فيما بقى للإسلام فى هذه الناحية . وقد ترجم ابن الأبار لبعض من سيجى ذكرهم فى هذا السرد فى بعض كتبه الأخرى ، فترجم لأبي محمد بن الحاج وهو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافرى فى « المعجم » ، رقم ٢١٤ ص ٢٣٣ - ٢٣٥ ؛ ولأبي جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الخشنى (من أهل مرسية ، يكنى أبا جعفر ويعرف بابن أبى جعفر الخشنى) فى التكملة رقم ٦٣٤ ج ١ ص ١٨٠ ؛ ولأبي العباس المعروف بابن الخلاّ وهو أحمد بن محمد بن زيادة الله الثقفى فى « المعجم » رقم ٢٨ ص ٤٠ ؛ ولمحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى فى التكملة ، رقم ٧٧٤ ص ٢٣٨ .

وقدّم أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخُشَنِيّ الفقيه في آخر شوال هذا ، فتولى بالتدبير بقية العام وأشهرها من سنة أربعين ، وكان يقول في قيامه بالإمارة : « ليست تصلح لي ولست لها بأهل ، ولكني أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يحىء من يكون لها أهلاً » . وتوجه إلى شاطبة يعين أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة من بها من المثلثين ، ثم خرج غازياً إلى غرناطة ومعيناً للقاضي أبي الحسن بن أضحى ، في جيش ضخم وجمع كثير يحكى أنه بلغ اثني عشر ألفاً بين خيل ورجل ، وقد اشتدت شوكة المثلثين بقصبتها ، وانضاف إليهم من قومهم خلق كثير ، فبالغوا في التضييق على مدينتها وأكثروا القتل في أهلها . ولما سمعوا بمسير ابن جعفر نحوهم تاهبوا له وبرزوا لدفاعه — ويقال إن عبد الله بن محمد بن علي بن غانية كان فيهم ، قبل لحاقه بأبيه وقدرمه عليه ميورقة إلى أمثاله من الأعيان ولاتهم ومشاهير حاتمهم — فهزموا ذلك الجمع بمقربة من غرناطة ، وقتل ابن أبي جعفر .

وذكر ابن صاحب الصلاة أن عبد الله الثغري كان قائداً بكونكة^(١) ، فلما سمع بقيام ابن محمد بن خرج إليه وأقام لديه ؛ واتفق أن وصلته مخاطبة أهل

(١) في التقسيم الإداري للأندلس كانت كُونُوكَة (وتكتب أيضاً : قُونُوكَة) مدينة من أعمال كورة شنتبرية Santaver (انظر : ياقوت : ١٨٦ / ٧) ولا ذكر لكورة مستقلة بهذا الاسم في الترجمات الإسبانية والبرتغالية لجغرافية الرازي ، لأن المترجمين عدلوا التقسيم بحسب ما كان الأمر عليه أيام ألفونسو العاشر ، ولهذا فهي تذكر هناك مع مدينة سالم . وكانت كونكة من أمنع حصون الثغر الأدنى ، ولهذا فإننا نظن أن عبد الله الثغري المذكور هنا سمي بالثغري لأنه كان قائداً في هذا الحصن . وفي أثناء الفتنة التي يتحدث عنها ابن الأبار كانت كونكة قد أصبحت تابعة لبلمسية ، وفي عصر الموحددين استند الصراع حول كونكة ، وانتهى الأمر بأن أسلمها صاحب بلمسية إلى ألفونسو الثامن ملك قشتالة في مقابل سكوته عنه ، وكان ذلك سنة ١٢٢٣/٦٢٠ . ثم أصبحت مدار حرب طويلة بين ملكتي أرغون وقشتالة . وهي اليوم قاعدة مديرية تحمل نفس الاسم . والبلد نفسه يقع على نهر وقَر Huecar أحد نهيرات نهر دُقر R. Júcar على ١٧٠ كيلومتراً جنوب شرق مدريد .

مرسية يذكرون تقديمهم أبا محمد بن الحاج ، وأنه استعفى من ذلك ، فأنفذ إليهم الثغرى والياً ، وقدم أبا جعفر بن أبي جعفر قاضياً . قال : فورد يوم الثلاثاء منتصف شوال سنة تسع وثلاثين .

وظهر من أبي جعفر حب الرئاسة ، فحشد الناس لقتال المائمين بأوريولة^(١) ، وغدر بهم عند نزولهم على الأمان فقتلهم . ثم داخل أهل بلده مرسية في أن يؤثروهم ، ويتقدم للقضاء أبو العباس بن الحلال^(٢) ، ولقيادة الخليل عبد الله الثغرى ، فلم يخالفوه .

وبعد انعقاد البيعة له نبذ طاعة ابن حمدين ، ودعا لنفسه ، واقتصر لقبه على « الأمير الناصر لدين الله » وأسقط منه « الداعي لإمام المسلمين »^(٣) . وقبض على الثغرى فسجنه وصهره ابنه مسلوقة ، وصير قيادته الخليل لزغنون ، أحد وجوه الجند .

(١) أوريولة : هي إحدى المدائن السبع التي عاهد عليها تدمير ، وعند تحويل بلاد تدمير إلى كورة أيام عبد الرحمن الداخل أصبحت أوريولة من كبار مدائنها . ذكر ذلك الرازي وقال إنها بلدة أولية (صفة الأندلس ص ٧٠ / ٧١ ، وكرر نفس الكلام الإدريسي ، ص ١٧٣ . وياقوت : ٢١٣ / ١ يكتبها أريول) واختصها أحمد بن أنس العذري بمادة طويلة ، وذكرها كذلك أبو الفدا في تقويم البلدان (بتحقيق رينو ودي سلان) ص ١٧٩ . ويذهب العذري وابن عبد المنعم الحميري (الروض المعطار ، رقم ٣٢ ص ٣٤) إلى أن أصل اسمها المدينة الذهبية ، وهذا صحيح ، لأن أصل اسمها Aureola ، واسمها الآن Orihuela ، وهي مركز إداري في مديرية مرسية ، تبعد عنها ٢٣ كيلومتراً إلى الشمال الشرقى .

انظر بالإضافة إلى المراجع المذكورة : د. م. إ. ج ٣ ص ١٠٦٧ .

(٢) ترجم له ابن الأبار في « المعجم » (رقم ٢٨ ، ص ٤٠) وهو أبو العباس أحمد ابن محمد بن زيادة الله الثقفي المعروف بابن الحلال وقال إنه : « قاضى قضاة الشرق من أهل مرسية ، ولبيته بها نباهة . ولاء الأمير محمد بن سعد (بن مردنيش) قضاء عمله ثم نكبه وهلك في معتقله بأندلس Onda من ثغور بلنسية سنة ٥٥٤ » .

(٣) « الداعي لإمام المسلمين » هو اللقب الذي اتخذ لنفسه القاضي ابن حمدين .

[١٥٤-١]

ثم توجه إلى شاطبة معيناً لابن عبد العزيز/ في حصار المثلثين المقتنعين بقصبتها — ورئيسهم إذ ذاك عبد الله بن محمد بن غانية — فثارت العامة بمُرسية عند مغيب ابن أبي جعفر عنها ، وسرحوا الثغرى وصهرية من معتقلهم ، فلحق بها وأطفأ تلك النائرة^(١) . وهرب الثغرى إلى كُونَكَة^(٢) ، وعاد هو إلى حصار شاطبة ، إلى أن هرب عبدُ الله بن غانية منها ، فأتبعه ابنُ أبي جعفر خيلاً سُميت ما تجمل من المال ، وأفلت هو فلحق بالمرية .

ولما تغلب ابنُ عبد العزيز على شاطبة ، عاد ابنُ أبي جعفر إلى مرسية ، وذلك في صفر سنة أربعين . ثم توجه بعد ذلك إلى غرناطة مغيثاً أهلها ، فلقى المثلثون بخارجها فهزموا جموعه وقتلوه^(٣) .

وعند انصراف القلِّ إلى مرسية ، أجمع أهلها على تأمير أبي عبد الرحمن بن طاهر هذا ، وذلك في أواخر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، فانتقل إلى القصر ودعا لابن هود ، ثم لنفسه بعده ، وقدم أخاه أبا بكر على الخليل . وكان ابنُ حمدين قد وجه ابن أخيه — وهو المعروف بابن أم العِمَاد — بعسكر فرُد خائباً ، ثم أعاد توجيه عسكر آخر مع ابن عمه المعروف بالفلّفلّ ، صحبة أبي محمد ابن الحاج وابن سوار وغيرهما من الواصلين من أهل مرسية إليه ، فصُد عن دخولها وطولب المائلون إليه .

وأقام ابنُ طاهر في إمّرتِه أياماً ريثما خوطب أبو محمد بن عياض بتمجيل الوصول إليهم ، فمَجَّلَ المسير نحوهم ، وتلقاه زَعْنُون ، وهو وال على أوزيولة ،

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، وقال الليث : النائرة الكائنة تنفع بين القوم ، وقال غيره : بينهم نائرة أى عداوة (اللسان : ١٠٦/٧ ، السطر الأخير) .

(٢) وردت الفتحة على النون في الأصل ، فتركها كما هي .

(٣) في الترجمة التي اختصه بها ابن الأبار في التكملة (رقم ٦٣٤ ص ١٨٠) يقول إن مقتله كان في صفر سنة ٥٤٠ ومولده مع الخمسمائة ، وقيل إنه لم يبلغ عند موته ٣٥ سنة .

فَبَرِيٍّ مِنْهَا^(١) إِلَيْهِ وَمَلِكًا إِيَّاهَا ، وَلَحَقَ بِهِ الَّذِينَ خَاطَبُوهُ مِنْ مَرْسِيَةِ يَحْرُضُونَهُ عَلَى قَصْدِهَا ، وَلَا عِلْمَ لَابْنِ طَاهِرٍ بِذَلِكَ ، بَلْ تَمَادَى عَلَى تَحْسِينِ الظَّنِّ بِالَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ لِقَاءِ ابْنِ عِيَاضٍ . وَقَدْ بَرَزَ النَّاسُ إِلَى لِقَائِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْقَصْرَ الْكَبِيرَ لَا يُدَافِعُهُ عَنْهُ أَحَدٌ ، وَذَلِكَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ . وَانْتَقَلَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى الدَّارِ الصَّغْرَى ثُمَّ [خَافَ عَلَى نَفْسِهِ]^(٢) فَتَرَكَهَا وَانْتَقَلَ إِلَى دَارِهِ ، وَعَفَّ ابْنُ عِيَاضٍ عَنْ دَمِهِ لَعَلَّهُ بَضْعُهُ . وَكَانَ مَعَ شَهَامَتِهِ حَسَنُ السَّيْرِ .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ خَلَعَ الْجَنْدُ مِرْوَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِلَانْسِيَّةَ ، وَاسْتَدْعَوْا ابْنَ عِيَاضٍ فَأَمَرُوهُ ، وَأَقَامَ أَمِيرًا عَلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ دَاعِيًا لَابْنَ هُودٍ إِلَى أَنْ قُتِلَ / [١٥٤-ب] بِالْبَسِيطِ^(٣) ، وَدَاعِيًا بَعْدَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ .

وَخَالَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ الثَّغْرِيُّ إِلَى مَرْسِيَةِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ مِنْهَا ، فَدَخَلَهَا وَانْتَزَى فِيهَا . وَكَانَ قَدْ أَنْفَذَهُ رَسُولًا إِلَى الطَّائِفَةِ أَذْفُونَشَ ، لِيَعْقِدَ مَعَهُ السَّلْمَ وَيَمَآئِثَهُ عَلَى صَاحِبِ بَرْشَلُونَةِ ، فَعَادَ مِنْ سَفَارَتِهِ هَذِهِ وَزَعَمَ أَنَّ أَذْفُونَشَ أَمَرَهُ عَلَى مَرْسِيَةِ^(٤) ، وَاسْتَعَانَ عَلَى دُخُولِهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ كَانُوا يُشَايِعُونَهُ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ وَهَرَبَ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) أَيْ أَسْلَمَهُ إِيَّاهَا . وَقَدْ قَرَأَهَا دُوزِي ، ص ٢١٩ : فَرَمِي .

(٢) أَكْمَلْتُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ بِمَا يَنْسَبُ السِّيَاقَ ، وَقَدْ اخْتَرْتُهَا لِقَوْلِ ابْنِ الْأَبَارِ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي التَّكْمِلَةِ (رَقْم ٧٧٤ ص ٢٣٨) : « وَرَأْسُ مَرْسِيَةِ بَعْدَ انْقِرَاضِ الْمُلْثَمِينَ يَسِيرًا ، ثُمَّ تَخَلَّى عَنْ ذَلِكَ ، وَتَلَوَّنَ لِلنَّاسِ رَغْبَةً فِي السَّلَامَةِ . وَتَوَفَّى بِمِرَاكُشِ سَنَةِ ٥٧٤ » .

(٣) تَوْضِيحًا لِهَذِهِ الْعِبَارَةِ نَقُولُ إِنَّ الَّذِي قُتِلَ فِي « الْبَسِيطِ » هُوَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَحْمَدُ بْنُ هُودٍ .

(٤) قَالَ كُودِيرَا تَعْلِيْقًا عَلَى ذَلِكَ : يُفْهَمُ مِنْ « مَدُونَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ » (أَلْفُونَسُو السَّابِعُ

مَلِكُ قَشْتَالَةِ) أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بْنُ هُودٍ كَانَ فَصَلًا (أَيْ تَابِعًا) لِأَلْفُونَسُو الْأَوَّلِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يُحْكَمُ مَرْسِيَةَ بِاسْمِهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي الْبَسِيطِ أُعْطِيَ الْإِمْبَرَاطُورُ مَرْسِيَةَ إِقْطَاعًا لَخَلْفِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرَجِ الثَّغْرِيِّ . وَلَمْ تَطُلْ مَدَّةُ حُكْمِ هَذَا الْأَخِيرِ فِي مَرْسِيَةِ ، فَقَدْ تَوَلَّاهَا مِنْ أَوَائِلِ ذِي الْحِجَّةِ ١٥/٥٤٠ إِلَى ٧ رَجَبِ ٥٤١/١٣ دَيْسَمْبَرِ ١١٤٦ وَهُوَ تَارِيخُ مَوْتِهِ . وَقَدْ ضَرَبَ

لِنَفْسِهِ عَمَلَةً تَحْمِلُ تَارِيخِي سَنَتَيْ ٥٤٠ و ٥٤١ وَاسْمَى نَفْسَهُ فِيهَا « الرَّئِيسُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرَجٍ » .

سعد بن مرزْدَنِيْش — نائب بنى عِيَاض فيها — فلهحق بَلَقَنْت ، وذلك فى أوائل
ذى الحجة من سنة أربعين .

ثم قُتِل الثَّغْرِى سابع رجب سنة إحدى وأربعين ، واستولى ابنُ عِيَاض
ثانيةً على مُرسية وسائر بلاد الشرق ، إلى أن قُضى نحوه من سهم رُمى به فى بعض
حروبه مع الروم ، يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين .
وأربعين ، فكانت ولايته عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً ، وحُل إلى بَلَنْسية
فدُفن بها ، ومحمدُ بن سعد إذ ذاك والٍ عليها ، فقام بمواراته . وعلم أهلها بعهد
ابن عِيَاض إليه بالإمارة من بعده ، فبايعوا له — ويقال : بل نصبه أهلها
لذلك دون عهد .

وأما أهل مُرسية فأمضوا نيابة على بن عبيد عن ابن عِيَاض بعد وفاته ، إلى
أن تخلى هو فى أواخر جمادى الأولى من السنة عما بيده لأبى عبد الله محمد بن سعد
ابن محمد بن سعد الجُذامى بن مرزْدَنِيْش — وجده هو المعروف بذلك ^(١) —

(١) لن يترجم ابن الأبار لابن مردنیش ، إذ ليس له شعر ، مع أنه أكبر وأخطر الثائرين
الذين ظهروا فى شرق الأندلس فى الفترة من زوال أمر المرابطين إلى دخول الموحدين الأندلس .
وقد عوض فرانثيسكو كوديرا هذا النقص ، فاختص ابن مردنیش بدراسة مطولة فى كتابه عن
اضمحلال المرابطين وزوال أمرهم من الأندلس .

Decadencia y desaparición de los Almoravides en Espana, p. 111 sqq.

ولا يتسع المجال لإيراد ملخص لهذا البحث هنا (والكتاب كله جدير بترجمة كاملة) . ونكتفى
هنا بالإشارة إلى تحقيقه للاسم ، فإن مرزْدَنِيْش أو مردانیش أو مرزْدَنِيْش ليس اسماً عربياً ،
مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحة . والواقع أن أصله من أهل شبه الجزيرة ، وقد يكون
جده مردنیش هذا دخل فى ولاء بعض الجذاميين وانتسب إليهم ، وهو فرض مقبول ؛ لأن داربطون
جذام بن عَمْدَى بن الحارث بن مرة بالأندلس كانت « شذونة والجزيرة وتدمير وإشبيلية »
(الجمهرة لابن حزم ، ص ٣٩٦) .

وربما كان أصل الاسم Martinez ، وفى هذه الحالة كان ينبغى أن يكتب بالعربية :
مرتینش أو مردینش . أما أن تكون صيغة الاسم Martínez لتتمشى مع النطق العربى فأمر غير ممكن ،
لأن هذا الاسم لا يمكن نطقه مع نبر المقطع الأخير ، ولهذا فقد اقترح كوديرا أن يكون أصل =

فقوى سلطانه ، وعظم شأنه . واشتد حذر ابن طاهر هذا منه ، لما كان يسمع ويبصر من شهامته وحزامته ، وربما عرض له ابن سعد بما يزيد حذراً منه واتقياً عنه ، فأخذ في القلون وأقبل على الانهماك والإدمان ، [وزهد في الإمارة]^(١) وطلب السلامة من غائلتها وقطع معه مدته [خائفاً]^(٢) إلى أن توفي ابن سعد منسلخ رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ، فأفرخ روعه ، ورسخ بالدخول في الدعوة المهدية أمه ، وتوفي بمراكش سنة أربع وسبعين — أكثر هذا الخبر المنسوق عن ابن صاحب الصلاة ، وجله [...]^(٣) مع ما اندرج فيه زيادة ، عن غيره مستفادة .

= الاسم **Martinus** أو **Mardonius** . وهذا الأخير من أسماء البيزنطيين ، وكانت لهم جالية كبيرة في قرطاجنة الحاضرة غير بعيد عن مرسية .

وكان محمد بن سعد بن مردنيش في هيئته ولباسه وسلاحه أقرب إلى نصارى شبه الجزيرة منه إلى مسلميها ، وكان يتكلم لغاتهم الإسبانية والقطلونية بطلاقة ، وكان الكثير من رجاله وجنداءه نصارى ، بل أعطى واحداً منهم — هو **Pedro Ruiz de Azagra** — مدينة شنتمرية الشرق (شنتمرية بني رزين) إقطاعاً وسمح له بأن يقيم فيها أسقفية ، وكان هو نفسه حليفاً وفصلاً لملك قشتالة وكونت برشلونة . ويسمى في المراجع النصرانية باسم **Lobo** أو **Lope** أو الملك **لُوبُ El Rey Lobo**

وكان ابن مردنيش يؤدي إتاوة لرايموندو برينجير الرابع **Ramón Berenguer IV** كونت برشلونة ولألفونسو السابع ملك قشتالة قدرها ١٠ مثقال من الذهب . وعندما مات كونت برشلونة هذا سنة ١١٦٨ تعهد ابن مردنيش بأن يدفع لخلفه ألفونسو الثاني ملك أرغون ٢٥ ألف دينار مرابطة في السنة ، وكذلك كان يدفع إتاوة لجمهوريتي بيزا وجنوة في بعض السنين . وكانت بينه وبين هنري الثاني ملك إنجلترا مراسلات ومهاداة . ورغم هذه الإتاوات كلها فقد انتزع كونت برشلونة من شرق الأندلس طرطوشة (سنة ١١٤٩) ثم لاردة وأفراغة **Fraga** ومكناسة **Mequinenza** وأواخر ذلك العام نفسه .

(١ و ٢) أضفت هذه الكلمات " "

(٣) بياض في الأصل .

ومن شعر ابن طاهر :

[١٠٥-١] / تأيّد على الشطرنج إن كنت لاعباً [... ..]

فما أمره مما يعزّز وإنما يعزّز علينا فيه نقضُ القرائح

وله وقد جرى ذكر سلطان المغرب بينه وبين قينة في مجلسه فقال :
إمامٌ تنهى في الأئمة فضلهُ فأصبح منا النوعَ يفخر بالشخصِ
وقالت القينة :

تكامل حتى جل عن وصف واصفٍ وأبدى لنا ما في الأنام من النقصِ
ولابنه أبي محمد عبد الحق بن أبي عبد الرحمن ، وهو لبنت القاضي أبي محمد
عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي^(١) ، وباسمه وكنيته سُمي وكُنّي :

اختر مكانَ العز فاحللهُ ولو عوّضتَ منه شقاوةً بنعيمِ
هذا الحبيب وفيه أفضلُ أسوةٍ وهو المفدى عند كل كريم
لم يرضَ عضواً للمحب يحله غير الفؤاد وفيه نار جحيم
وله يمدح :

لما وجدتَ العالمين تقسموا قسمين : من حزبٍ ، ومن أعداءِ
قسّمتَ عدلكَ فيهمو قسمين قد شملاهمُ : من نعمة ، وشقاء
للأجر جاهدتم عداة الدين لا أن العداة لكم من الأكفاء
وله من قصيدة :

(١) المراد أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسي الذي يترجم له ابن الأبار في هذه المسادة .
ويفهم من هذه الفقرة أن أمه كانت بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي .

هجرتَ من الدنيا لذيذِ نعيمها لأنك لا ترضاه إلا مَخْلَدًا
وقضيتَ شهرَ الصومِ بالنيةِ التي رقيتَ بها في رُتبةِ القدسِ مُضْعِدًا
وودَّعَ عن شوقٍ إليك مبرِّح فلو كان ذا جفنٍ لبات مسهدًا
يقول فيها :

تفقدُ بحسنِ الرأي عبدًا مؤملاً دعاه رجاءُ العوزِ أن يتعبدا
وإن كان عَظُمُ الذنبِ صَغَرَ قدرُهُ فإِن سَلِمَانًا تفقد هُدهدًا
وهذا نحو ما أنشدنا الأستاذُ أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار بن محمد الرعيني
بحضرة تونس حرسها الله ، قال : أنشدنا أبو البركات الواعظ المصري المعروف
بالزيراري — وقد رأيت أنا أبا / البركات هذا وسمعتُ وعظه بجامع بلنسية في [١٥٥-ب]
سنة ثمان وستائة :

ومن عادة السادات أن يتفقدوا أصاغرَهم ، والمكرماتُ مصائدُ
سَلِمَانٍ في ملكٍ تفقد هدهدًا وأصغر ما في الطائرات الهداهدُ
وكل ما عثرت عليه من منظوم عبد الحق هذا ومنثوره منصوص في كتابي
الترجم بـ « إيماض البرق في أدباء الشرق » .

١٤٧ — عبد الله بن خيار الجياني ، أبو محمد

عداده في المتوثبين^(١) ، وكان عاملاً على مدينة فاس في دولة الملتهمين ثم استبد
بها يسيراً في قيامه عليهم بالدعوة المهدية ، وعلى يديه كان فتحها ، والموحدون

(١) في الهامش بخط مخالف : صح : من المتأدبين .

أعزهم الله إذ ذاك بمكناسة فأسرعوا الوصول إليها ، وأمنوا أهلها عند دخولها عصرَ يوم الأربعاء الرابع عشر من ذي قعدة سنة أربعين وخمسة ، وقيل عند الفجر منه ^(١) .

وذلك أن واليها يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف المعروف بابن الصحراوية أعرس تلك الليلة بامرأة من قومه فشغله ابنُ خيار بكثرة ما أهدى إليه عن النظر لنفسه ، وقد واعدَ الموحدين تمكينهم من البلد لما أمكنته الفرصة ، فدخلوا عند الفجر ، ولم يكن ليحيى محيص عن الفرار والنجاة بنفسه فيمن خفَّ معه من أصحابه وانتهوا إلى طنجة ، ثم أجازوا البحر منها إلى الأندلس .

(١) روى أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق هذه الحوادث بتفصيل (أخبار المهدي ابن تومرت ، ص ٩٨ - ٩٩) ، وقد سبق أن ذكر نفس المؤلف في كلامه عن دخول ابن تومرت فاس في صورة آمر بالمعروف ناه عن المنكر شيئاً عن الجياني هذا ، فقال : « وكان مظفر يحكم فاس والجياني مشركهم بعدما كان مقدماً على الجيارين . وكان الجياني له حظ عظيم ، حتى لم يكن في زمرة الحشَمَ أحظُّ منه ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً . فعند خروج الجياني للقصر خرج المعصوم (يريد المهدي ابن تومرت) من فاس متوجهاً لبلاد السوس ، وغدا نحو مكناسة ، والله الموفق للصواب » (ص ٦٥) .

ويفهم من هذا أن حاكم فاس كان رجلاً يسمى « مظفر » ، وقد ذهب ليثي پروؤنسال في تعليقه على الترجمة الفرنسية لهذه الفقرة (ص ١٠٢ من الترجمة ، تعليق ٢) أن مظفرأ هذا كان من الصقالبة الذين خدموا المرابطين ، واعتمد في ذلك على عبارة للمقرئ (طبعة أوربا ، ج ٢ ص ٢١٩) يقول فيها « مظفر الخصى » . وأما لفظ « المشرف » فقد ترجمه پروؤنسال : **prévôt de la population** ، ولكن يفهم من عبارة البيدق (ص ١٠١) أن المشرف كان المسئول عن شئون المال .

ولم يشر البيدق إلى هذه الحيلة التي دبرها الجياني على ابن الصحراوية . وفي ص ١٠١ نرى بوضوح كيف كان الجياني هذا متأمراً مع الموحدين على أرباب نعمته المرابطين . وفي آخر ذلك الخبر يقول البيدق (ص ١٠٢) : « وقلع الخليفة رضه مع الموحدين أعزهم الله بأجمعهم إلى مكناسة ، وترك في فاس أبا عبد الله محمد بن يحيى الكدميوي والجياني الذي كان استفتحها على يديه » .

وجلت حالُ ابنِ خيار هذا بعدُ ، وكانت له من الدولة البلية مكانة سنية ،
وهو القائل في محاورته :

لنا في جناب الدين والخير آمالُ تكتنفها سعدٌ عتيدٌ وإقبالُ
نحوز بها فوزاً ونحرز غبطةً فعند الإمام العدل صفح وإفضال
وإني لأرجو أن أفوز بليلةٍ فيشرق عَسالٌ ويشبع عسالُ
وفيه يقول أبو بكر يحيى بن سهل اليسكي^(١) عند تنافى حاله في الحظوة
والوجاهة :

أيا ابنَ خيارٍ بلغت المدى وقد يُكسفُ البدرُ عند التمام
/ فأين الوزير أبو جعفر^(٢) وأين المقرَّبُ عبدُ السلام^(٣) [١-١٥٦]

(١) الأصل : اليسكي بالباء ، والصواب بالياء . وهو أديب شاعر مذكور في شعراء
الموحدين ، ترجم له الضبي في « البغة » ، رقم ١٤٧٩ ص ٤٨٨ وقال إنه كان « خبيث
الهجاء » ، وهو منسوب إلى يكة ، مدينة صغيرة إلى شمال مرسية تسمى Yecia . وأما قراءته
« البكي » ونسبته إلى بلد يسمى يكة « وهي مدينة بنواحي طريف » فغير صحيحة ، إذ ليس
هناك بلد يسمى يكة ، إنما الموجود لِسَكَّةُ وهي الصورة العربية للفظ Lago (البحيرة) والمراد به
البحيرة المعروفة بالخدق Lajanda شمالى مدينتى الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف ، وعندما
وقعت الموقعة بين طارق بن زياد ولذريق . انظر ذلك مفصلاً في كتابنا « فجر الأندلس » ، وانظر
عن اليكي :

HENRI PÉRÈS, *La poésie à Fès sous les Almoravides et les Almohades*.
Hespéris, tome XVIII. 1934.

وانظر : كتاب « زاد المسافر وغرة محيا الأدب السائر » لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي
المرسي ، بتحقيق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٩ ، ص ٧٧ وتعليق ٢ .

(٢) المراد أبو جعفر بن عطية ، وقد سبق ذكره .

(٣) المراد عبد السلام الكرمي الملقب بالمقرَّب . مات مخنوقاً بأمر عبد المؤمن بن علي

سنة ٥٥٧ . راجع ترجمته في المعجب لبدا الواحد المراكشي ، ص ١٩٨ .

يريد أبا جعفر أحمد بن جعفر بن عطية الوزير السكاتب ، ونُكِب في صفر من سنة ثلاث وخمسين وخمسائه ، وفيه قُتل هو وأخوه أبو عقيل عطية بخارج مراکش ، ولأبي جعفر إذا ذاك ست وثلاثون سنة ، مولده سنة سبع عشرة وخمسائة ولأخيه ثلاث وعشرون سنة وأصلهما من قَمْرِيَّة^(١) قرية بطرطوشة من شرق الأندلس ونسبهما في قضاة .

ويريد بالمقرب عبد السلام بن محمد الكومي وهو أخو بندق لأما ، وتقلد الوزارة بعد أبي جعفر بن عطية ، وكان كثير الس[ماية] به شديد [الحسد له لا يطيق الصبر] عليه ولا إيماله^(٢) فيما وصل إليه . [فلما صارت إليه الوزارة] أدل بقربه وقرابته^(٣) ، واستبد بالأموال وكثر التظلم من عماله ، فسُجن بقلمان

(١) قَمْرِيَّة فرضة صغيرة على البحر الأبيض جنوبي طركونة Tarragona تسمى اليوم Cambrija وهي جنوب رأس سالو Cabo Salou مباشرة ، وهي تابعة لمركز ريوس Reus في مديرية طركونة ، وتبعد عن ريوس بمسافة ١٩ كيلومتراً ، وتبعد عن طركونة بعشرة كيلومترات إلى الجنوب . انظر :

LÉVI - PROVENÇAL, *Un Recueil de lettres officielles Almohades. Etude Diplomatique et Historique*. Hespéris XXVIII (1941), p. 5.

Diccionario Geográfico de Espana, tomo VI (1958), p. 115.

(٢) أكملت هذه العبارة بما يناسب المعنى بعد أن راجعت الفصل^{٢٥} الطويل الذي كتبه ابن صاحب الصلاة عن فكبة عبد السلام الكومي في الفصل الذي عنوانه : « ذكر ما دار من^{٢٥} الأوامر العلية في هذه الغزوة المنصورة ، غزوة المهديّة » في كتاب « المن بالإمامة » ، مخطوط أكسفورد ، نسخة مصورة ، ورقة ٢١ وما بعدها .

(٣) شرح ابن صاحب الصلاة قرابة عبد السلام الكومي من عبد المؤمن بن علي (ص ٢٥ من المخطوط) فقال إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج والدته عبد السلام (الكومي) « فولدت له ابنة تسمى بندق » فكان يرى نفسه حقاً ، ولم يعلم أن الملك عقيم ، وأن مسراته هموم ، ومُر عقابه كلوم . وكانت تلك الأخت بندق قد زوجها أمير المؤمنين رضي الله عنه من الشيخ المرحوم أبي حفص ، فلم تحسن عشرته ، فطلقها برأى أمير المؤمنين حين أساءت الزوجية معه ، وهجر أمير المؤمنين بندق .

عند الانصراف من غزوة المهديّة في سنة خمس وخمسين إلى أن سُمّ في طعامه فهلك ، وقيل إنه قُتل بالأرجل^(١) .

[ومن بين]^(٢) ما قرأت في بعض المعلقات أن عبد السلام هذا قصده جماعة من أهل سَلَا في وزارته فقمعد عن برّهم ولم يقض حاجتهم ، فكتب إليه أخدمهم :

يا مَنْ يرى خيبةَ الراجين تَكْرمةً ونيلَ ما أمّلوا عجزاً وتقصيراً
مهلاً فإنك خامٌّ في يدى زمنٍ وقد أعدّ له كَمداً وتقصيراً^(٣)
فقتل في اليوم الثاني من دفع الرقمة إليه بالأرجل .

واتفق أيضاً مثل هذا لأبي العلا إدريس بن أبي إسحاق بن جامع^(٤) في

(١) فضّل ابن صاحب الصلاة موت عبد السلام الكومى مسموماً (نفس الورقة من مخطوط صاحب الصلاة) وملخص ذلك أنه بعد أن اهتم عبد السلام الكومى بسوء النصرف في أموال قابس بعد دخولها في طاعة الموحدين عقب استيلائهم على المهديّة ، تكابر عليه أعداؤه ، وفيهم نفر من السادة (أمراء الموحدين) فأمر عبد المؤمن بسجنه عندما وصل تلمسان ، ثم مال إلى العفو عنه ، فاتصل أعداؤه بالسجان وتواطأوا معه ، فصنع له السجان « ثرّة في فروج » - أى ثريداً في فروج - وأكلها ومات منها . وليس هناك ذكر لموته قتيلاً بالأرجل .

(٢) أضفت هذه الكلمات للسياق .

(٣) كذا في الأصل ، ومن المستبعد أن تكون قافيتان متواليتان بكلمة واحدة ، إلا إذا كان المراد بالثانية التقصير ضد التطويل . وربما كانت صحة الكلمة « تصهيراً » من الصهر وهو الإذابة ، وذلك بقرينة وصفه إياه في المصراع الأول بأنه « خام » . والكَمَمُ هو تغير اللون .

(٤) بنو جامع أسرة من أهل الإدارة والوزارة خدمت الموحدين من أيام المهدي إلى أيام العادل الموحدى . وأصلهم القديم من الأندلس ، من مدينة طليطلة ، وأول من نسمع به منهم إبراهيم ابن جامع ، نشأ بضيعة تسمى رُوطة Rota بساحل مدينة شريش على المحيط الأطلسي ، وهى غير روضة Rueda الثغر الأعلى ، « وبها مسجد مشهور بالفضل يزوره أهل الأندلس قاطبة كل =

وزارته : قصده بعض معارفه الناشئين معه فلم يرفع به رأساً ، فكُتِبَ إليه .
 شُغِلَتْ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ عِنَّا وَلَمْ تَذُرْ الْعَدُوَّ مِنَ الصَّدِيقِ
 رَوَيْدَكَ عَنْ طَرِيقٍ أَنْتَ فِيهَا فَإِنَّ النَّائِبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ
 فَكَسَبَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ ، وَهَذَا مِنْ طَرِيفِ مُوَافَقَةِ الشُّعْرَاءِ فِي زَجْرِهِمْ لِلْقَضَاءِ .
 وَكَانَتْ نَسَكَةُ أَبِي الْعَلَا هَذَا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، بَعْدَ أَنْ

= سنة « كما يقول عبد الواحد المراكشي في «المعجب» (ص ٣١٠) ، ثم يقول بعد ذلك ، « ثم انتقل إبراهيم هذا إلى بر العدو ، وكان يحاول صنعة النحاس ، فتعرف بابن تومرت فكان من أصحابه ، فهو معدود فيهم » . وقد ذكر البيهقي أبو إسحاق إبراهيم بن جامع بين « أهل دار الإمام المهدي » (ص ٢٩) . وظل إبراهيم بن جامع في رعاية محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي ، حتى كان يعيش في قصر هذا الأخير ، وفيه ولد ابنه إدريس الذي استوزره أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وجمع ثروة طائلة وعاش في قصر عظيم يطنب ابن فضل الله العمري في وصف سعته (الترجمة الفرنسية للجزء الخاص بالمغرب بقلم جودفروا ديموسين ، ص ١٨٨ و ٢٦٢) . وكان لإدريس هذا أخ يسمى عبد الله بن إبراهيم بن جامع كان يتولى مدينة سبتة وجهاتها وقيادة الأسطول . وفي سنة ٥٧٣ غصب الخليفة أبو يعقوب يوسف على إدريس وأولاده ، فنفاهم إلى ماردة بغرب الأندلس حيث ظلوا ست سنوات حتى عفا عنهم الخليفة أبو يعقوب يوسف وهو في طريقه إلى غزوة شترين . أما عبد الله بن جامع فظل في عمله ، وأنجب ولداً يسمى أبا سعيد عثمان ولاء الخليفة الناصر الموحدي طرابلس ، ثم ولاء الوزارة سنة ٦٠٥ . وقد اتسع سلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الله بن جامع في عهد المستنصر ، أبي يعقوب يوسف بن محمد الناصر ، خامس خلفاء الموحدين (٦٢٠-٦٢١) ، ووقع نزاع ومنافسة طويلة بينه وبين الوزير أبي زيد عبد الرحمن بن موسى بن وجَّان (أو يوجَّان) بن يحيى الهنتاتي . وعند موت المستنصر كان ابن وجان هذا من أكبر الساعين في بيعة أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب المنصور الملقب بالعدل في الأندلس منافساً لعمه عبد الواحد بن أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بمراكش ، وهو المعروف بعبد الواحد المخلوع (الروض المعطار ، ص ٦٧ - ٦٨ ، مادة جنجال) . وقد وقف أبو عثمان سعيد بن جامع إلى جانب عبد الواحد ، فلما انتصر العدل بتأييد أشياخ الموحدين له على عمه في سنة ٦٢١ نُفِيَ إلى ناحية من جبال الأطلس ، وحاول أخوه أبو إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع - وكان أمير البحر - منع العدل من العبور إلى المغرب ، وقتل فهرب ومات في بلاد هسكورة . ولا نسمع بعد ذلك عن بني جامع .
 انظر ، بالإضافة إلى المراجع المذكورة آنفاً : ابن خلدون ، المعرج ٦ - و :

AMBROSIO HUICI MIRANDA, *Historia política del Imperio Almohade*. Tetuán, 1957. II, p. 448, y nota 1.

استكمل في وزارته خمس عشرة / سنة وشهراً وعشرين يوماً . واعتُقل هو وابنه [١٥٦-ب] يحيى وأقاما مغرّبين بجهة إشبيلية ستة أعوام وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً إلى أن صفح عنهما وقت الانصراف من غزوة شنترين سنة ثمانين وخمسمائة^(١) .

١٤٨ — أخيل بن إدريس الرندي الكاتب ، أبو القاسم

كتب في أول أمره للملثمين ، ثم استكتبه أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن في إمارته [ورعى له] ^(٢) صحبته إياه أيام قضائه ، فلما دخل ابن غانية قرطبة وأخرج ابن أحمد بن ، لحق أخيل برُندة ^(٣) بلده واستبد بضبطها مُدَيِّدة ،

(١) جاء في الجزء الرابع من البيان المغرب (طبعة أمبروزيو أويثي ميراندا وآخرين ، تطوان ١٩٥٦) في سياق الكلام عن مسير أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على غرب الأندلس ، وعند الوصول إلى بطليوس (ص ٦٢) : « وكان إدريس بن جامع مغرباً مع بنيه بماردة وحيثيون الكومي كذلك ببطليوس ، فرغبوا من الخليفة أن يأذن لهم في حضور هذه الغزوة ، فأذن لهم في الحين ، ومشوا في جملة المجاهدين » .

(٢) أضفت هاتين الكلمتين للسياق .

(٣) رُندة: في التقسيم الإداري الأندلسي كانت رندة مدينة تابعة لإقليم تنجانيقا في كورة

استجة (صفة الأندلس للرازي ، ص ٩٩) ، وقد أسقط اسمها صاحب التعليق المتفق من فرحة الأنفس (انظر : كورة استجة ، ص ٢٦) . وقد ذكرها ياقوت (٢٩٣/٤) وأبو الفدا (تقويم البلدان ، طبعة أوربا) ص ١٦٦ ، وابن بطوطة (طبعة ديفريميري وسانجيني) ج ٤ ص ٣٦٣ ، وابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار ، رقم ٧٩ ص ٧٩ ، وأشادوا جميعاً بحصانتها .

واسمها مغرب Arunda وهو اسمها أيام الرومان والقوط ، وهي قائمة على حافة خانق في جبل يسميه صاحب الروض المعطار : طَلُوْبَرْدُو وهو المعروف بجبال رندة Serranía de Ronda . وتحت البلد يوجد الخانق المسمى باسم التاجه el Tajo عمقه ١٦٠ متراً ، يجري فيه نهر وادي اللبسن Guadalevín الذي يتصل بعد ذلك بوادي آره Quadairo . ورندة مشهورة في التاريخ الأندلسي لأن جبالها كانت مركز ثورة عمر بن حفصون ، فعلى مقربة منها تقع قلعة بَبَشْتَرُ Bobastro حين قمع جبال رندة . ثم كان لها شأن في عصر الطوائف الأول ، ثم صارت جزءاً من مملكة =

فحسده أهلها وداخلوا أبا الغمّر بن السائب بن غرثون في التمكن منها - وهو يومئذ قائم بدعوة ابن حمدين في شريش وأركش^(١) - فتم ذلك . واستولى أبو الغمّر على قصبة رُنْدَة الشهيرة المنعة دون قتال ولا نزال ، لركون أخيل إليه وثقته به ، فنجبا بنفسه وما كاد . ونهب أبو الغمّر ديار أصحابه ، وخلع طاعة ابن حمدين ، ودانت له المعامل المتصلة به ، فأمن أمره . وقيل : بل سجن أخيل ثم مَرّحه ، فكان عند أبي الحسك بن حشون بمالقة ، ومنها توجه إلى مراكش فأوطئها ، واتصل بأبي جعفر بن عطية الوزير ، وعلى يديه أعيد ماله . ولم يزل هناك مكرماً ، وفي طبقته مقدماً ، إلى أن ولى قضاء قرطبة ، ثم قضاء إشبيلية . وكان سمياً ، جواداً ، بليغاً ، مدركاً .

وحكى لي أنه لما أراد الانفصال من مراكش لقي أبا جعفر بن عطية فأنشده :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجدائنا كل شيء بعدكم عدم

=غرناطة . وقد سقط في أيدي فرناندو وإيزابيلا بعد حصار ٢٠ يوماً في ٤ جمادى الأولى سنة ٢٠/٨١٠ مايو ١٤٨٥ . وهي اليوم تابعة لمديرية مالقة (انظر المادة الخاصة بها في دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ١٢٤٥ - ١٢٤٦) .

أما تاكرونا فنطقة جبلية هي التي تسمى اليوم باسم جبال رندة . ولفظ تاكرنا بربرى يوجد في نواح كثيرة من المغرب في صور مختلفة بعض الشيء ، أشهرها تـكـثـرونة في تونس . انظر :

W. MARÇAIS ET ABDURRAHMAN GUIGA : *Textes arabes de Takroûna*. I, Paris, 1925. VIII, n. 1.

وقد حاول دوزي أن يفسر الاسم بقوله إنه مكون من اسم الإشارة البربرى «تا» واللفظ اللاتينى «كورونا» ، ولكن أحداً لم يقبل هذا الاشتقاق . وقد ذكرها ابن عبد المنعم الحميرى (رقم ٦٣ ص ٦٢) وقال إنها «مدينة أزلية تنسب إليها الكورة» ، ثم عاد فصحيح نفسه وقال إنها إقليم من أقاليم استجة قاعدته رندة - وهذا هو الصحيح .

(١) أركش^١ : تسمى اليوم Arcos de la Frontera ، وكانت في التقسيم الإدارى الأندلسى تابعة لكورة شريش شذونة . وهي اليوم من مدن مديرية قادس على خمسين كيلومتراً شمال شرق القاعدة قادس .

فأجابه أخيل :

إذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدرُوا ألا تفارقَهم ، فالراحلون هم
وتوفى بإشبيلية سنة ستين — أو إحدى وستين — وخمسمائة . ومن شعره
يراجع بعض الأدباء :

وفاؤك قد رضيتُ به حبيباً ورأيتُ قد قفمتُ به نصيباً
وودك لا أريد به بديلاً وبرك لا أقوم به مئيباً
/ مكارمُ منك قد عَبَّتْ عُبَاباً على العافين وانهايت كثيباً [١-١٥٧]
وطبعك لو نفحت به هشيماً لعماد الروض مطلولا خصيباً^(١)
وعهدك كالشباب وليس مما يكون مآلُ نُضْرته المشيبا
وذاك الشَّعر أم سحرٌ حلالٌ ففنت به المُساكتَ والمجيبا
وله أيضاً :

إليك أخذتُ حبالَ الذِّمامِ وفيك تعلمتُ نظمَ الكلامِ
فأرسلته جائلاً كالرماح^(٢) وصُلّت به ثائراً كالْحِسامِ
وما كنتُ منه ولكنها أيايَ تفجّر صُمّ السَّلامِ
[تروم الإ] صارة في كل [يوم ففنت] الإصابة من كل رام^(٣)

(١) ورد هذان اللفظان في الهامش بخط مخالف .

(٢) الأصل : حائراً كالوراح ، ولا معنى له .

(٣) أضفت ما بين الحواصر للسياق والوزن . وقد ورد لفظ الإصابة هكذا : صاره .

وقد أخذت لفظ الإصابة من الصَّيِّير وهو القبر (اللسان : ١٤٨/٦) ، وراعى في هذا التوازن

بين الإصابة والإصابة الواردة في الشطر الثاني . والمعنى بعد هذا الإكمال : أنك تروم الموت كل يوم في ساحات القتال ولكنك تنتصر وتصيب كل رام .

وتثنى الفصوف على هزة كأن بها سكرات المدام
 وكلٌّ تَهَنَّا^(١) إقباله ولا كيايا اب الأمير الهمام
 فتي المكرمات تصدَّى لها بحكم الكهول وسين الغلام
 [فأغنى]^(٢) لمشر مضت من سنيه^(٣) [وأبلغ]^(٤) في النائبات العقام
 وساق إلى المسلمين التي أنارت لهم في اعتكار الظلام
 وشوق أضعاف ما اشتاقه ولولا التصبر كان الغرام
 وقامى ليتدع المسجون [وأنكى ليهلك]^(٥) أهل اللثام
 ونافر منهم أفاعى الرجا ل تبعث من ضغنها بالأسقام
 وجاراهم طلق المكرمات فكان على الرغم منهم إمام
 وأعشاهم في سماء الملا بنور هلال كبردر التمام
 ووجدت منسوباً إليه — والصحيح أن ذلك لأبي جعفر عبد الله بن محمد
 ابن جرج القرطبي^(٦) ، وهو عندي بالإسناد إليه :

[١٥٧ـب] / أما ذكاه فلم تصفر إذ جنحت إلا لفرة ذاك المنظر الحسن
 ربّي تروق وقِيَمَاتٍ مزخرفة وسأخّ مدّاً بالهطالة الهُتَنِ
 وللنسيم على أرجائه حبّ يكاد من رقة يُجلى على الغصن

(١) الأصل : تَهَنَّى .

(٢) أضفتها للسياق والوزن .

(٣) الأصل : سنيه ، ولا يستقيم به الوزن .

(٤) أضفتها للسياق والوزن .

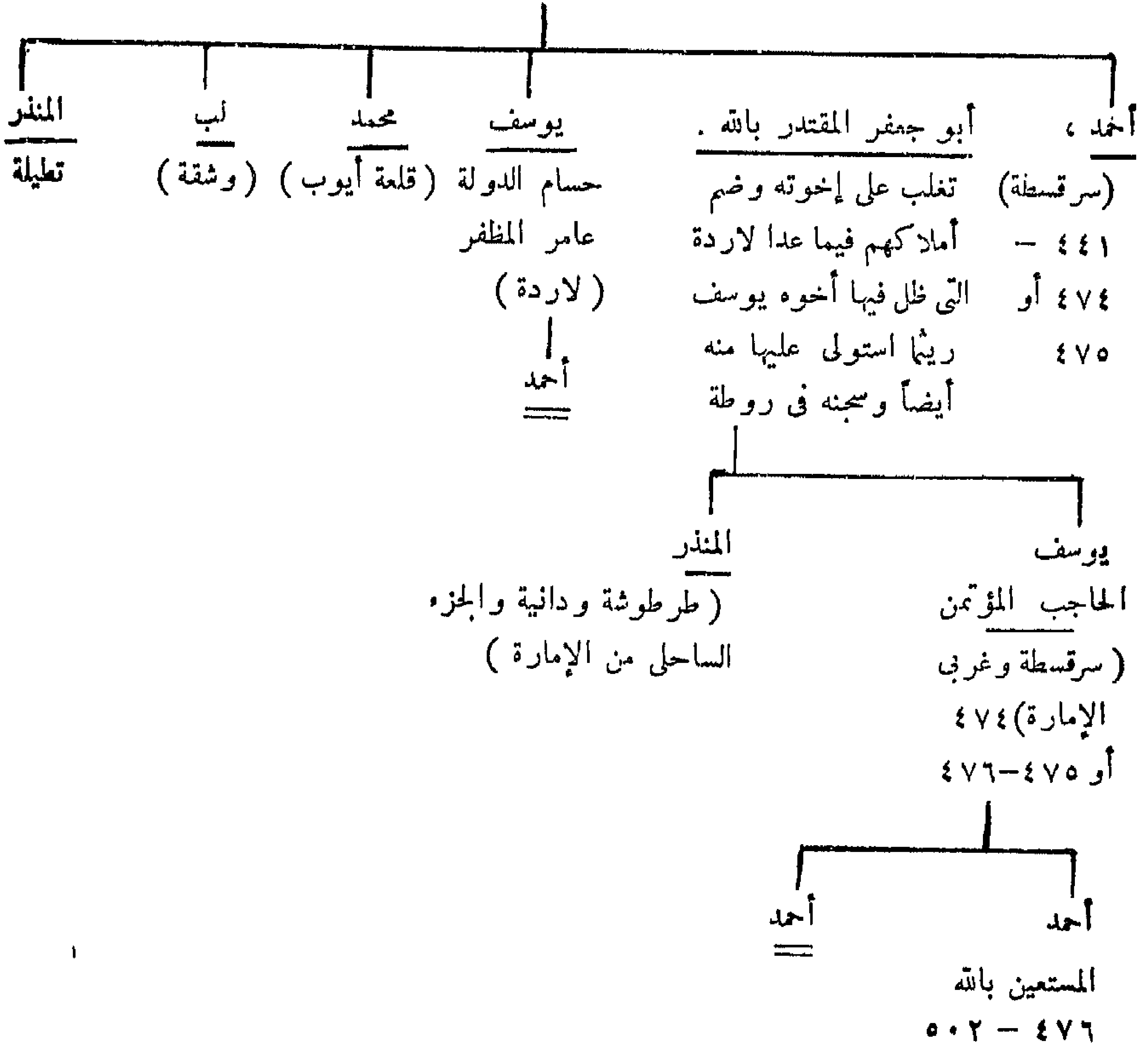
(٥) أضفت هذه الكلمات للسياق والوزن .

(٦) عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد ابن جرج ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد (في النص يقول إنه أبو جعفر) . سمع من عدد من الشيوخ منهم أبو القاسم بن بشكوال ، وأجاز له ما رواه وألفه . توفي يوم الجمعة ٨ شعبان ٦١٤ ، ودفن بمقبرة أم سلمة ومولده سنة ٥٣٥ . فهو على هذا من معاصري ابن الأبار . انظر : التكملة ، رقم ١٤٣٨ ج ١/٥١٠ .

١٤٩ — أحمد بن يوسف بن هود الجذامي ، أبو جعفر

هو أحمد بن حسام الدولة أبي عامر يوسف بن عضد الدولة أبي أيوب سليمان ابن المؤمنين أبي عامر ، ويقال في كنيته : أبو عمر يوسف بن المقتدر بالله أبي جعفر أحمد بن المستعين بالله أبي أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي (١) .

(١) على هذا يكون أبو جعفر هذا إما من أولاد أحمد المقتدر بن سليمان بن محمد بن هود أو من أولاد أخيه يوسف حسام الدولة الملقب بالمظفر بن سليمان بن محمد بن هود ، والقول الثاني أصح ، فهو لأصحاب لاردة ، وإليك شجرة النسب تبين هذين القولين :
أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (٤٣٨ - ٤٤١)
كان من كبار وجوه الجند بالشعر الأعلى ، وعند قيام الفتن استولى على لاردة سنة ٤٣١ ، ثم دخل سرقسطة وأصبح صاحب الشعر الأعلى كله سنة ٤٣٨ ، وعند موته فرق بلاد الشعر الأعلى على أولاده الخمسة كما يلي :



عبد الملك عماد الدولة : لم يطل حكمه ، إذ استولى على سرقسطة والشعر الأعلى القائد المرابطي -

وكان آباؤه وأهل بيته أمراء سرقسطة والثغر الشرقى ، غلبت عليهم دون ملوك الطوائف الشجاعة والشهامة ، وقبضوا أيديهم فقلت أمداحهم ، وترك الشعراء انتجاعهم ، إلا فى الغبِّ والفادر ، على سعة مملكتهم ووفور جبايتهم .

وأول ملوكهم أبو أيوب سليمان بن محمد ، المتلقَّب من الألقاب السلطانية بالمستعين بالله صاحب لاردة ، وصار إليه مُلك سرقسطة وما معها ، بعد مقتل منذر بن يحيى بن منذر بن يحيى التجيبى الأخير : فتك به ابنُ عم له يسمى عبد الله بن حَكَم ، وحز رأسه وسط قصره ، وذلك غرة ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة^(١) ، ودعا لابن هُود أولَ أمره ، ثم ثار به أهل سرقسطة ، فلحق بحصن رُوطة اليهود^(٢) — أحد معاقلها المنيعه ، وقد كان أعداه لنفسه — ونجا بفاخر ما اشتمل عليه من ذخائر آل مُنذِر . ونهب العوام قصر سرقسطة إثرَ خروجه ، حتى قلعوا مَرَمَره .

= محمد بن الحاج سنة ١١٠٩/٥٠٣ وضمها لدولة المرابطين .

راجع بحثنا عن « سرقسطة والثغر الأعلى فى عصر المرابطين » . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة .

مجلد ١١ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ .

وقد قلنا هناك إن المنذر خامس أولاد سليمان بن هود هو نفسه لب ، وأن أولاد سليمان على هذا أربعة ، ولكن ما أثبتناه فى الجدول هنا أصح .

(١) سبق تفصيل هذه الحوادث والتعليق عليها .

(٢) رُوطة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت تابعة لمدينة (أى للكورة الثغرية)

سرقسطة (انظر صفة الأندلس للرازى ، ص ٧٨) ، وهى غير روطه شريش التى ذكرناها .

والمراد هنا Rueda de Jalón أى روطه نهر الخالون ، وهوشلون أحد نهيرات نهر إبرة ،

وهى اليوم تابعة لمديرية وشقة Huesca . وهناك مواضع أخرى تسمى Rueda فى هذه

الناحية (انظر : مادوث ، ج ١٥ ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ . وقد سقطت روطه هذه فى يد ألفونسو

المحارب ملك أرغون عندما سقطت سرقسطة سنة ١١١٨/٥١٢) .

وطمسوا أثره ، لولا تعجيل سليمان بن هود ، فملك البلد في الحرم سنة إحدى وثلاثين ، وأورثه بنيه حين توفي سنة ثمان وثلاثين^(١) .

وحظى بولايته — دون إخوته — ابنه أبو جعفر أحمد الملقب بالمقتدر ، وكان أقواهم سلطاناً . وهو الذى استرجع مدينة بَرَبَشْتَر^(٢) وافتتحها على النصارى

(١) انظر الجدول السابق في تعليقنا على سليمان بن هود . وانظر أيضاً : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ١٧٠ - ١٧١ . وابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) مأساة بَرَبَشْتَر^{ج ٢} Barbastro من أشنع ما أصاب المسلمين في الثغر الأعلى خلال فترة الطوائف ، وقد روى خبرها ابن حيان وأورده ابن بسام في القسم الثالث من الذخيرة في سياق كلامه عن بني هود ، وأورده المقرئ في نفح الطيب مع تحريف كثير (طبعة أوروبا ، ج ٢ ص ٧٤٩) ، وابن عذارى في الجزء الثالث من البيان المغرب (ص ٢٢٥ - ٢٢٨) ، ودرسها دوزى دراسة وافية في الجزء الثانى من أبحاثه ، في بحثه الطويل عن غزوات النورمان في إسبانيا *Les Normands en Espagne* (ص ٢٥٠ وما يليها) والجزء الخاص بكائنة بربشتر في ص ٣٣٢ وما يليها .

وخلاصتها أن نفرأ من النورمان الذين سمح لهم شارل الأبله *Charles le Simple* ملك فرنسا بالإقامة في الإقليم الذى عرف باسمهم من فرنسا بعد ذلك *Normandie* قاموا بنشاط واسع في الغزو والنهب والسلب في شتى نواحي أوروبا (ومنهم تفرع النورمان الذين فتحوا إنجلترا سنة ١٠٦٦ بقيادة وليم الفاتح) . وقد غزا بعضهم إيطاليا واتصل بالبابوية ، وهناك نصحبهم الناس بالاتجاه لحرب المسلمين في الأندلس ، فسارت حملة قوية منهم من جنوب فرنسا يقودها رجل يسمى *Robert Crespin* وانضم إليهم نفر من الفرنسيين والإيطاليين وفاجأوا مدينة بربشتر واستولوا عليها بعد حصار أربعة أيام ثم نهبوا نهباً ذريعاً وقتلوا من أهلها ألوفاً وأسروا ألوفاً أخرى ، وكان ذلك في جمادى الأولى ٤٥٦ .

وعندما انتشر خبر هذه الكائنة ريع المسلمون في الأندلس كله ، ونهض أحمد بن سليمان ابن هود الملقب بالمقتدر ونادى المسلمين لتخليص بربشتر ، فتم لهم ذلك في رمضان من السنة التالية . وعلى شناعة هذه الغزوة وما وقع فيها من القتل والسلب والنهب ، وجد باحث فرنسى أنها موضع للفخر ، وأراد أن يرد هذا الفخر إلى الفرنسيين . انظر :

P. BOISSONNADE, *La Croisade de Barbastro*.

وبربشتر مدينة ومركز إدارى في مديرية وشقة ، تقع على نهر Cinca أحد نهيرات الإبره النابعة من جبال البُرت ، وتقع على ٦٠ كيلو متراً شمال شرق سرقسطة .

عنوة ، وخالع إقبال الدولة على بن مجاهد من دانية ، وسيّره إلى سرقسطة دار
[١٥٨-١] مُلكه ، وهناك هلك سنة / أربع وسبعين^(١) ، وفيها توفي المقتدر .

وولى بعده ابنه أبو عامر يوسف بن أحمد الملقب بالموثمن ، فلم تطل مدته
وتوفي سنة ثمان وسبعين .

وولى بعده ابنه أبو جعفر أحمد الملقب بالمستعين بالله ، واستشهد على مقربة
من تطيلة يوم الاثنين أول رجب من سنة ثلاث وخمسمائة^(٢) .

وولى بعده ابنه الحاج عماد الدولة أبو سروان عبد الملك بن أحمد ، وشرط
عليه أهل سرقسطة ألا يستخدم الروم ولا يلابسهم ، فنقض بعد أيام يسيرة
ذلك — لما استشعر من ميل الناس إلى الملتزمين — وأقام بحصن رُوطة . واستدعى
أهل سرقسطة محمد بن الحاج اللاتوني والى بلنسية ، فوافاهم صبيحة يوم السبت
العاشر من ذي قعدة سنة ثلاث وخمسمائة ، فأمكنوه من البلد ؛ وجرت قصص
طويلة أفضت إلى تغلب الروم على سرقسطة في يوم الأربعاء الرابع من شهر رمضان
سنة اثنتي عشرة .

وقد كان عبد الملك هذا وجهه أبوه المستعين أحمد بن يوسف الموثمن إلى
يوسف بن تاشفين في سنة ست وتسعين وأربعمائة بهدية سنوية ، من جملتها أربعة
عشر رُبُعاً من آنية الفضة ، مطرزة باسم جدّه المقتدر والد جدّه الموثمن ، فقبلها

(١) ذكر ذلك بتفصيل ابن عذاري في البيان المغرب ، ج ٣ / ٢٢٨ - ٢٢٩ .

وانظر : كليليا سارنيلسي تشيركوآ : مجاهد العامري ، قائد الأسطول العربي في

غرب البحر المتوسط (القاهرة ١٩٦١) ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، والمراجع المعطاة هناك .

(٢) استشهد في وقعة فالتيرا Valtierra (أول رجب ٥٠٣ / ٢٤ يناير ١١١٠)

وكانت مع ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالحارب . انظر بحثنا عن سرقسطة والشعر الأعلى ،

ص ١٠٦ ، و :

ابن تاشفين وأمر بضربها قراريط ، فرقت ليلة عيد الفجر في أطباق على رؤساء قومه وهو إذ ذاك بقرطبة وقد أشار إلى بيعة ابنه على بن يوسف بالعهد فحضر عبد الملك ذلك .

ولما توفي بروطة في شعبان سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ولي بعده ابنه أبو جعفر أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله — ويلقب أيضاً بالمستعين بالله ، وهو آخر بني هود ملكاً — فأقام بروطة إلى أن تخلى عنها لاطاغية أذفونش بن رمند المعروف بالسليطين^(١) ، وعوضه منها بنصف مدينة

(١) عبارة ابن الأبار هذه بالغة الدقة ، وهي تبين لنا من المراد بلفظ السليطين ، ولماذا لقب بذلك . فأذفونش بن رمند هذا هو Alfonso Raimundez وأمه هي أراكة Urraca ابنة ألفونسو السادس الذي استولى على طليطلة ، الذي يقول في حقه ابن وقّار (الذي أخذ ابن الخطيب عنه أخبار ملوك النصارى) : « وهذا الفُتُنْشُ المعمّر هو الذي طغى واستحوذ على ملوك المسلمين ، وحزّب بين ملوك الطوائف إلى أن قمعه الله بلمتونة ، وهزمه هزيمة الزلاقة على يد يوسف بن تاشفين » . وكان ألفونسو السادس هذا قد فقد ابنه الوحيد شانشو Sancho في موقعة أقليمش على يد المرابطين سنة ٥٠٢ / ١١٠٨ . وكانت ابنته أراكة قد تزوجت من رامن دي بورجونيا Raman de Borgona وأصله بورجونى من Bourgogne في فرنسا ، فأنجبت أذفونش بن رمند Alfonso Raimundez الذي ذكرناه . ثم مات هذا . وبعد موت ألفونسو السادس (١ يوليو ١١٠٩) سعى النبلاء حتى زوجوا أراكة هذه من ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب ، حتى تتحد أرغون وقشتالة ، وقد تم هذا الزواج في سبتمبر سنة ١١٠٩ وأصبح ألفونسو الأول بالفعل ملك أرغون وقشتالة .

وقد أهملت بهذا الزواج حقوق Alfonso Raimundez ابن أراكة وولى عهدها الشرعى ووريث ألفونسو السادس الشرعى ، فقام أنصاره يطالبون بحقه ، وثار النزاع بين حزب ألفونسو الأول المحارب الأرغونى وأنصار هذا الأمير المعارضين في أن يكون الملك الأرغونى ملكاً على قشتالة ، وكان على رأس أولئك المعارضين الأسقف برناردو أسقف طليطلة ، وكان فرنسياً من رهبان دير كلونى ، فإزال يسعى لدى البابا بسكال الثانى حتى ألغى زواج ألفونسو الأول المحارب من أراكة . ولم يكن زواجاً سعيداً على أى حال ، فقد كان الشقاق مستمراً بين ألفونسو وأراكة . وتم الانفصال بينهما سنة ١١١٤ ، وتم الاتفاق على أن يكون ألفونسو المحارب ملكاً على أرغون وقشتالة ، وتكون أراكة ملكة على ليون وجليقية وذلك بعد حروب

طَلَيْطَلَة^(١) ، وذلك في شهر ذي قعدة سنة أربع وثلاثين ، وسار معه فأنزله بها .
وفي سنة تسع وثلاثين أخذت دولة الملميين في الانتقاض والانقراض ،

طويلة . وعندما ماتت أراكة خلفها ابنها **Alfonso Raimundez** باسم ألفونسو السابع ، وقد سماه أهل الأندلس بالسليطين لأنه ولي عرش قشتالة صغير السن إذ كان تحت وصاية أمه أراكة ، وهو لقب يقابل التسمية اللاتينية التي كانت الحوليات المسيحية تطلقها عليه ، وهي **Rex Parvus** (أى الملك الصغير) . وعلى أى حال فقد بدأت بملكه دولة جديدة في تاريخ ليون وجليقية ، هي الدولة البرغونية **La Casa de Borgona** انظر :

PÉDRO AGUADO BLEYE, Manual de Historia de Espana, II, (Madrid, 1947), p. 617 sqq.

ابن الخطيب : ذكر التعريف بما أمكن من ملوك الأندلس على الاختصار ، ذيل على كتاب أعمال الأعلام ، ص ٣٢٢ وما بعدها .

IBN, IDĀRI : al - Bayān al - Mugrib, nuevos fragmentos almorávides y almohades, traducidos y anotados por A. Huici Miranda, ed. Valencia, 1963, p. 201.

(١) سبق أن بينا خطأ هذا القول ، وأن الحقيقة هي أن ألفونسو السابع (وهو ألفونسو ابن رمند المعروف بالسليطين المذكور في الهامش السابق) عندما استولى على روضة وادي خالون **Rueda de Jalón** من عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين بالله بن هود في سنة ٥٢٥ أو ١١٣١/٥٢٦ جعله تابعاً من أتباعه وأعطاه إقطاعاً بناحية طليطلة . وأصبح عماد الدولة هذا من رجاله يخرج معه في غزواته ، شأنه في ذلك شأن سائر أفصاله (جمع فَصَلَّ وهو التابع الإقطاعي) الآخرين . وعندما توفي عماد الدولة عبد الملك بن هود خلفه ابنه أحمد بن عماد الدولة - الذي تلقب بسيف الدولة - في إقطاعه ومركزه . وقد اشترك مع ألفونسو السابع في حملته الكبيرة على الأندلس ، وهي التي وصل فيها إلى الجزيرة الخضراء وعاث في بلاد الإسلام عيثاً شديداً (٥٢٨ - ٥٣٠/١١٣٣ - ١١٣٥) . وعندما وقع الانفصال بين ألفونسو المحارب وزوجته أراكة (راجع التعليق السابق) وانفصلت أرغون وقشتالة عن ليون وجليقية أصبحت روضة هذه من بلاد مملكة ليون وجليقية وملكها أراكة حتى سنة ١١٢٦ ثم ابنها ألفونسو رايموديث المعروف بألفونسو السابع (السليطين) فاستنزل حسام الدولة أحمد بن عماد الدولة بن هود من روضة وعوضه بإقطاع في ناحية طليطلة . ويبدو أن تأريخ ابن الأبار لهذا الحادث بنى قعدة ٥٣٤ (يونيو ١١٣٩) ليس دقيقاً ، لأننا نجد اسم سيف الدولة أحمد هذا بين أتباع ألفونسو السابع في حملته على الأندلس سنة ١١٣٣ - ١١٣٥ (٥٢٨ - ٥٣٠) ، والأصح أن يكون ذلك قد حدث في ذي قعدة سنة ٥٢٤/أكتوبر ١١٢٩ .

CODERA, Almorávides, p. 71 sqq.

انظر :

وابن القطان : نظم الجمان (بتحقيق الدكتور محمود مكى) ص ٢٠٠ .

تخرج سيفُ الدولة هذا ثائراً بالثغور الجَوْفِيَّةَ ، ومنها ورد على قرطبة ، فدخلها
بمداخلة أهلها إياه ، وممالة ملائها على ذلك^(١) . وانزعج ابنُ حَمْدٍ بن أُمَامِه ،
فلحق بالمقل المعروف بِفَرَنْجُوَاشِ ، / ثم خرج منها بعد اثني عشر يوماً ، فاجياً [١٥٨-ب]
بنفسه ، وقد ثارت به العامة وقتلت وزيره ابنَ شَمَاح وطائفة من أصحابه .

فقصد جَيَّان وقد ثار بها قاضيا ابنُ جُزَيَّ ، فتغلب عليه وملاكها . ثم سار
إلى غرناطة فملكها ، واضطربت عليه بها الأمور فأسلمها . وعاد إلى جَيَّان ، فدخله
أهلُ مرسية واستدعوه ، فورد عليهم ودخلها يوم الجمعة الثامن عشر من رجب
سنة أربعين . ولم يستكمل في جميعها حولا واحداً .

وقد كان ابنُ عِيَّاض تأمرٌ بمرسية ودعا لابن هود هذا ، فوجه إليه ابنته
أبا بكر ، فبرز للقاءه وأظهر الاحتفاء بمقدمه ، وسار به إلى بلنسية حين أمره أهلها
وخلعوا مروان بن عبد العزيز قاضيا ، ثم ولاه دانية . وبلغ ابنُ عِيَّاض ورودُ
ابنِ هودٍ وحلوله بقصر مرسية ، فعجل به اللحاق ، وقدم يوم الأحد المُوَفَّى
عشر من رجب ، مظهراً طاعته وممثلاً أمره . ونزل القصر الصغير ، فألقى إليه
ابنُ هود بالأمر كلها ، وخصه باسم الرئاسة . وبعد ليالٍ قلائل توجهوا جميعاً إلى
شاطبة ، وقد سبقهما إليها عبدُ الله بن سعد بعسكر بلنسية في اتباع الروم المغيرين
على نواحيها أصحابِ الطاغية أذفونش ، فاستشهد ابنُ هود وابن سعد لما التقى الجمعان ،
ونجا ابنُ عِيَّاض . وكانت هذه الواقعة الكبرى على المسلمين بالموضع المعروف

(١) أورد كوديرا (Almorávides, 76-77) قطعة عظيمة الأهمية هنا من :

Crónica del Emperador D. Alfonso, España Sagrada, XXI p.330 sqq.

فيها تفصيل تشاور الأندلسيين ومادعا إليه بعضهم من القيام على المرابطين والدخول في طاعة
ألفونسو السابع في مقابل جزية يدفعونها له .

باللَّحْجِّ وبالبَّسِيطِ — على مقربة من جنجالة — يوم الجمعة الموقَّع عشرين لشعبان
من سنة أربعين ، وقيل يوم السبت بعده .

وأبو جعفر بن حسام الدولة هو القائل يمدح من قصيدة :

علوت ، فما تسمو لمقدارك الشَّهْبُ وقد قصَّرت في ما تسطَّره الكُتُبُ
وأنت إذا وجهت جيشك رائداً تقدَّمه من بعض أنصارك الرعبُ
أقت لنا الدينَ الحنيفيَّ مائلاً كأنَّا نرى المهديَّ ما ضمه التُّربُ
إذا خلصت نفسُ الوليِّ لربِّه فغير عجيب أن يوفِّقه الربُّ
وله :

يا باكيًا عُمرَ الطلول بدعه أسفاً على ذاك الدم المطلول
[١٥٩ - ١] / أودتْ بلبِّكَ لوعةٌ صديتْ لها صفحاتُ ذاك الخاطرِ المصقولِ

وله :

ليت شعري - ونحن بالمغرب الأقد متى تُزجِرُ الفلاةُ الأُمونُ ؟
بفلاةٍ ترى الرياحَ بها الهُمو جَ عَرَتهنَّ فترةٌ وسكونُ
وتلوح البروق مثلَ سيوفٍ ال همد فيها أجفانهن الجفونُ
والسراب الرقراق في صفحة البية داء يغشى الهضابَ ماء معينُ
تبدى لك الظعائن فيهِ — (م) نَّ فقل أينقُ بها أو سفينُ
خطرت خطرة الغرام على القلا ب وحسب الفتى لها يستكينُ
أذكرتني بلجاء وُرقٍ تجاوز بن بنجدٍ حديثهن شجونُ
أطربتني أصواتهن على الأي مكة ، قد يُطرب الحزين الحزينُ

ومنها :

يَا مَـةَ الْقَوْمِ وَالْمَنَى يَطْمَعُ الْمَرْءُ إِذَا مَا اسْتَثْقَلَ يَوْمًا قَطِينُ
 إِنْ تَكُونِي قَدْ اسْتَقَرَّ بِكَ الرَّبُّ مَعَ فَقَائِي مَعَ الرِّفَاقِ رَهِينُ
 أَوْ تَكُونِي سَلَوْتِ عَنَّا فَلَا وَالْهَلَا (م) لَمْ تَسْلُكِ الطَّبَاءُ الْعَيْنُ
 أَيْنَ لِلشَّمْسِ أَنْ تَفَالَ مُحِيًّا لَكَ وَتَعَزَّى لِمُعْطَفِيكَ الْغُصُونُ
 غُرٌّ لُحْنٍ مِنْ دَجَى الشَّعْرِ بَيْضُ مَا تَجَلَّتْ عَنْ مِثْلِهِنَّ الدُّجُونُ

١٥٠ - أحمد بن قام^(١) الكاتب ، أبو العباس

دار سلفه بِيَّاسَة^(٢) ، وكانت لهم بها في الفتنة رئاسة . وذكر أبو عمرو بن

(١) كذا ورد الاسم في الأصل باللقاف ، ولم أجد مثل هذا الاسم في معاجم التراجم ، وإنما ورد « نام » بالنون مرتين في بكلمة ابن الأبار (رقم ١٢٠٦ و ١٢٠٧ ج ٢ / ٤٢١) ولا أظن أن لأحدهما علاقة بأحمد بن قام هذا . فإن هذا من بياسة في حين أن الاثنين الآخرين من سرقسطة ولبلبة واسماهما مختلفان عن اسم المترجم له هنا . ولا شك أن المذكورين عند ابن الأبار يترآن بالنون ، لأنه ذكرهما في حرف النون ، ويحتمل أن يكون اسم المترجم له هنا أحمد بن نام بالنون .

(٢) بياسة Baeza : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت بياسة من كبار مدائن كورة جيان (صفة الأندلس للرازي ، رقم ١٨ ص ٦٩) وقد خلط مترجمو جغرافية الرازي بينها وبين بياسة Baza فقالوا إن بياسة مشهورة بصنع المصنوعات ، والحقيقة أن بياسة هي التي اشتهرت بذلك . وكانت بياسة في منطقة غابات اشتهرت بأخشابها ، وعلى مقربة منها موضع يسمى لَشَشُو سِكُو Lecho Seco اشتهر بهذه الأخشاب . وقد أخطأ ناشرو ياقوت فجعلوه لَشَشُو سِكُو (انظر ج ٧ ص ٢٢٢) ، وصححه قراءته لَشَشُو سِكُو . وبالإضافة إلى ياقوت (٣١٨ / ٢) وصف بياسة الإدريسي ، ص ٢٠٣ ، ونقل مادته ابن عبد المنعم الحميري (الروض المعطار ، رقم ٥٧ ص ٥٧) ؛ وقد أشادوا كلهم بشهرتها بالزعفران . وأصل اسمها لانيبي Beatia وقد سقطت بياسة مع جيان في يد فرناندو الثالث سنة ١٢٣٦ / ٦١٤ وفصل ابن عبد المنعم =

الإمام في كتاب « سَمَطُ الْجُمَانِ وَسِقْطُ الْأَذْهَانِ » من تأليفه أن أبا العباس هذا رحل عن الأندلس لبأور كان فيه استهواه ، وزهو جاوز به غايته ومداه . قال : وكثيراً ما كان يلحظ الجزيرة بعين الاحتقار ، ويُنزِلُها وأهلها منزلة الصَّغار ، ويأنف أن تكون له دار قرار ، فلا يمثل إلا

[١٥٩-ب] / أنا في أمة تداركها الله غريبٌ كصالحٍ في ثمود
حتى قوَّض عنها خيامه ، ومشى ما مشى ظلُّه أمامه ، فما عُرِفَ أين صَقَعَ ،
ولا في أي البوار وقع . وهو القائل من أبيات :

هم وصلوا لبلي بليل ابن حنـدج	وقد كان - لولا يـنهم - ليل مـصبج
ليالى لا نجم الزجاجة آفل	هناك ، ولا بدر الندي بمـدج ^(١)
أردد طرفي بين برق مـدامة	وبرقة ثغر منه تُحمي بأذعج
فأرشف من تـيـاك ريقة سلسل	وأرشف من ذياك ريقة أفـلج
ولا شـدو إلا صوت حلي بـلـبة	ولا نُقل إلا ورد خـدي مـضـرج
ورجفة تفاح والحاظ نرجس	وأصداغ ريحان وخال بنفسج

[أراد^(٢) بليل ابن حنـدج ليل امرئ القيس حيث يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليلتي

= الحميرى ذلك . وتسمى اليوم Baeza وهي مركز إدارى في مديرية جيان وتقع على ٤٠ كيلومتراً شمال شرق جيان عاصمة المديرية .

cf : MADOZ, op. cit. III, 293 - 297.

(١) الأصل : مدنج .

(٢) وردت هذه الفقرة كلها في الهامش بخط مخالف . وهي أشبه بالشروخ التي يأتى بها ابن الأبار بين الحين والحين ، ولهذا فقد غلب على ظنى أنها من كلامه ، أسقطه الناسخ وأضافه من راجع الكتاب على الهامش ، وقد وضعت العبارة كلها بين معقوفتين زيادة في التحرز .

وأشار بليل مَنبِج إلى قول عبد الملك بن صالح الـ[هاشمي] ^(١) حيث سأله
الرشيد عن دارة منبج ، فكان من وصفه لها أن قال : ليأها سَحَرَكله
وله في المدح :

رصانةٌ حِلْمٍ سَفَهَتْ كُلَّ أَحْنَفٍ وديمةٌ جودٍ بَخَلَّتْ كُلَّ حَاتِمٍ
وفطنةٌ علمٍ تَحْتَهَا إِنْ دَجَا الْوَغَى جهالةٌ رَمَحَ أَوْسَافَهُ صَارِمٍ

١٥١ — محمد بن حمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز ابن حمد بن التغلبي ، أبو الحسن

هو ابن عم أبي جعفر حمد بن محمد بن علي بن حمد بن التغلبي ،
والدعو له بأكثر قواعد الأندلس .

ويعرف محمد هذا بـ « الفُلْفُلِي » في أهل بيته ، وللمنصور محمد بن أبي عامر
عليه ولادة . وكان ابن عمه قد ولاه مُرسية ، بعد مقتل ابن أبي جعفر بفاحية-
غرناطة ، وبعثه بنفسه مع طائفة من أعيان مُرسية ، فلما دنا منها صُدَّ عنها وقاتله-
العربُ الذين كانوا بها ، فانهزم جمعُه وانصرف مفلولا ، وأميرُ مُرسية حينئذ
أبو عبد الرحمن بن طاهر ، فخلوعُ أبي محمد بن عِيَّاض بعد خمسين يوماً أو نحوها ،
من ولايته ، وذلك كله في سنة أربعين وخمسة .

ثم سكن ابنُ حمد بن هذا مراکش ، مجاوراً لأبي عبد الملك مروان بن

(١) أكلت نسبته من الأغاني ، ج ٥ ص ١١٢ .

عبد العزيز و بنى [سيدرأى]^(١) بن وزير رؤساء الغرب — قاله ابن صاحب الصلاة .

وحكى أنهم باتوا ليلةً في أنس ، جمعهم فيها انقلاب الزمان وابن حمد بن
[١٦٠-١] غائب عنهم ، فلما حضر / كتبوا إليه معرفين بذلك ، فجواب ابن وزير منهم
بأبيات منها :

يا واحدَ الفضلِ والسماحِ	ويا فتى الجدِّ والمزاحِ
سألتَ مستفهماً رسولاً	فهزَّ منى عطفَ ارتياحِ
وليلةُ الأنسِ لو أعيدتْ	أصبحُ عندى من الصباحِ
شربت فيها السرورَ صرفاً	وأنتَ ريحانتى وراحي
فهاج حبي ولذَّ شربى	بغيرِ إثمٍ ولا جناحِ
إيهٍ وقلتم فى وصفِ ظبيٍ	يبسم عن دُرٍّ أو أقاحِ ^(٢)
جديبٍ خصرٍ، خصيبٍ ردفٍ	ينهض عن مثقلٍ رداحِ
شكوتُ منه، ورب شكوى	أليمةٍ من هوى الملاحِ
ومن رأى الليثَ فى محلٍ	يقوده جائلُ الوشاحِ ؟
يا فارسَ الخيلِ إذ تلاقى	فى مآزقِ البأسِ والكفاحِ
إنَّ صِفاحَ الحسانِ أنكى	فى القلبِ قرْحاً من الصِّفاحِ
أشْفارُ الحَاظِها شِفَارُ	تندقُّ منها سُمرُ الرماحِ

(١) أكلت الاسم اعتماداً على ما ذكره ابن عذارى فى الجزء الرابع من البيان المغرب (ص ١١٠)
من عزل سيدرأى بن وزير عن باجه وجميع بلاد الغرب وإقامة حُفَّاظ من الموحدين فى هذه النواحي .
(٢) الأصل : « يبسم عن ورد وعن أقاح » وفى الهامش ، « در أو أقاح » ، وكلاهما غير
موزون إلا إذا جعلنا همزة « أو » همزة وصل كما أثبتناه .

أى القلوب الصّحاح يبقى على جفونٍ مرضى صحاح ؟
أفديك من عاشقٍ عفيف غير مبيعٍ سوى المباح
ينقاد للبر والمرضى وهو عن النكر ذو جهاح
فانعم هنيئاً قرير عينٍ ما اهتزت القضب بالرياح

١٥٢ — أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي

الوزير ، أبو جعفر

أحد السكفاة الأبحاد ، والدهاة الأبحاد . وهو من بيت القاضي أبي الوليد
هشام بن أحمد الوقشي^(١) / — وهى قرية بنواحي طَلَبيرة^(٢) ، مشددة القاف — [١٦٠-ب]

(١) أحسن ترجمة له هى التى أوردها ابن بشكوال فى الصلة ، وهو هشام بن أحمد بن خالد ابن هشام الكنانى يعرف بالوقشي ، من أهل طليطلة . ولد سنة ٤٠٨ هـ وتوفى فى دانية فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٤٨٩ هـ . « أحد رجال الكمال فى وقته باحتوائه على فنون المعارف وجمعه لكليات العلوم » . وذكر ابن بشكوال أنه كان ضليعاً فى النحو واللغة ومعانى الأشعار وعلم العروض وصناعة البلاغة ، وكان شاعراً متقدماً حافظاً للسنن وأسماء نقلة الأخبار بصيراً بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذاً فى علم الشروط والفرائض ، متحققاً بعلم الحساب والهندسة ، مشرفاً على جميع آراء الحكماء ، حسن النقد للمذاهب . . الخ ولكنه قال فى آخر ترجمته : « وقد نسبت إليه أشياء ، الله أعلم بحقيقتها وسائله عنها ومجازيه بها » دون أن يفصح عن شيء من ذلك .

(٢) المراد هنا بلدة وقش Huecas المنسوب إليها المترجم له . وطلبيرة المقصودة هنا هى المعروفة باسم Talavera de la Reina فى مديرية طليطلة ، وتقع على نهر تاجه على ١٥٠ كيلومتراً غربى طليطلة على مجرى النهر ، واسمها فى القديم Caesarobriga ، وقد ذكرها الرازى فى صفة الأندلس (رقم ٤٠ ص ٨٢) وقال إنها من قواعد كورة طليطلة ، وقال إنها « حاجز بين المسلمين والإفرنج » (نقل ذلك ياقوت : ٥٣/٦) .
(١٧٢ - ج ٢)

وأراه ابن أخيه ؛ ونسبهم في كِنانة . قام بأمر أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هَمْشَك ، ضابطاً لأعماله ومصلحاً لأحواله . ولما هُزم ابنُ سعد وابنُ هَمْشَك معه بقرناطة ، صبيحة يوم الجمعة الثامن والعشرين لرجب سنة سبع وخمسين وخمسمائة — وهي وقعة « السَّبِيكة » إثر [هزيمة] « مرج الرُّقاد » ^(١) —

= ويذكر ياقوت والإدريسي (ص ١٨٧) أن عبد الرحمن الناصر جدد أسوارها وعمرها . انظر كذلك : الروض المطار ، رقم ١١٩ ص ١٢٧ .

وهي اليوم مركز إداري في مديرية طليطلة . ولا زالت بعض آثار التحصينات العربية باقية فيما يسمى **Torres Albarranas** ، وعلى ٣٠ كيلو متراً منها توجد اليوم مدينة أصغر تسمى طليبرة القديمة **Talavera la Vieja** وهذه تابعة لمديرية قَصْرِش **Cáceres** . وقد سقطت طليبرة في يد ألفونسو السادس سنة ١٠٨٢/٤٧٥ ، أي قبل طليطلة بثلاث سنوات .

أما وَقَشْ فتسمى اليوم **Huecas** وكانت من قرى طليبرة ، وهي اليوم قرية تابعة لمركز توريجوس **Torrijos** الإداري في مديرية طليطلة ، وتقع على ٢٥ كيلو متراً شمال غربي طليطلة .

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى موقعتين من أكبر ما دار بين محمد بن سعيد بن مردنيش وصهره إبراهيم بن هَمْشَك من ناحية والموحدين من ناحية أخرى . وقد سبق أن تكلمنا عن ابن مردنيش ، وأما ابن هَمْشَك فهو — كابن مردنيش — أحد هذه الشخصيات القلقة التي ابتلى بها الأندلس في فترة الشغور بين المرابطين والموحدين وخلال جزء كبير من عصر هؤلاء . فإن ثورات ابن حدين وابن هود وأمثالهما على المرابطين هدمت ما كان قد بقي من هيكل النظام ، وانفرط عقد البلاد وانفسح المجال أمام المغامرين الذين يجمعون طوائف من شذاذ الآفاق وقطاع الطرق ويمضون يصبون البلاء على أهل المدن والأرياف . ولا نستطيع القول بأن محمد بن سعد بن مردنيش كان من هذا الطراز تماماً ، فقد كانت فيه أثارة من فضل وهيبة الأمراء . ولكن هذا لم يكن ينطبق على معاونيه وأكبرهم صهره ابن هَمْشَك ، واسمه الكامل : إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن هَمْشَك . وهذا الاسم الأخير لقب أطلق على جده ، وكان من جند بني هود ، وهو إسباني مكون من كلمتين : **He mochico** ، **he** اسم إشارة و **mochico** مصغر **mocho** وهو في القشتالية الثور الذي قطع قرنائه أو الذي لا قرن له ، وتقال للرجل الذي قطعت أذنه ، ومعنى الاسم إذن : هذا هو المصلوم الأذن .

C1 : DOZY, *Recherches*, I, 368 - 369.

وقد كان ابن هَمْشَك من أقسى الرجال . كان ينزل بخصومه ألواناً من العذاب تقشعر منها =

عُزِمَ على استئصال ابن هَمْشُك ومنازلة بلاده ، فلاذ بالفرار وأسلم جَيَّان لوزيره الأخصَّ أبي جعفر هذا . فنازلها الموحدون أعزهم الله ، وهو بضبطها مستبد ، وإلى مؤمره عليها مستنيد ، إلى أن صدروا عنها لعمارة قرطبة ودخلوها ضحوة يوم الأحد الثاني عشر من شوال من السنة ، وبها إذ ذاك - فيما حُكِيَ - نحو من ثمانين رجلا ، قد أكلتهم الفتنة وشردتهم المجاعة ، من طول إلحاح ابن هَمْشُك عليهم بالحروب ، وشن الغارات مع الشروق والغروب ، رجاء انتظامها مع جَيَّان وسائر بلاده ؛ فنُقِسَ عن أبي جعفر ، وقد ناب أحسن منابٍ ، وحل من صاحبه آثر محل .

= الأبدان ، حتى كان يضع بعضهم في كفة المنجنيق ويلقى بهم ، وقد فصل ابن صاحب الصلاة أفاعيله (ص ٢٧ - ٢٨ من مخطوطة أكسفورد) . وذكر ابن الخطيب شيئاً من سيرة ابن همشك في الإحاطة (ج ١ بتحقيق محمد عبد الله عنان) ص ٣٠٥ - ٣١١ وهو يسميه محمد بن مفرج ابن همشك ، وذكر تفسير الاسم ، وقد اعتمد دوزي على هذا التفسير في شرحه الآنف الذكر ، ثم ذكر سيرته إلى اختلافه مع محمد بن سعد بن مردنيش (وكانت ابنة ابن همشك زوجة مردنيش) وطلاق ابنته منه ، ثم دخوله في طاعة الموحدين ووفوده على أبي يعقوب يوسف الموحد سنة ٥٦٥ . أما هزيمة مرج الرقاد فقد فصل أمرها ابن صاحب الصلاة (ورقة ٢٧ - ٢٨) وملخصها أن ابن مردنيش وابن همشك حاولا انتهاز فرصة انشغال الموحدين فأرادا الاستيلاء على غرناطة وأوقعا بجيش من الموحدين يقوده أبو سعيد بن عبد المؤمن وابن زيد مشرف البلد وأبو محمد بن أبي حفص في الموضع المعروف بمرج الرقاد وهو على أربعة كيلو مترات من قرية الطرف Atarfe الحالية قرب مجرى نهر شنيل ، يسمى حالياً Majarrocal (انظر : SECO DE LUCENA, *Notas sobre toponimia granadina*, Al-Andalus, 1944, fasc. 2, p. 505) ولكنهما عجزا عن الاستيلاء على قصبة غرناطة . وأسرع الخليفة الموحدى فأرسل جيشاً يقوده أبو يعقوب يوسف ابنه وولى عهده والشيخ ابن سليمان « زعيم وقته وداهية زمانه » كما يقول ابن الخطيب (ص ٣١٠) ، فأوقع الجيش بابن مردنيش وابن همشك هزيمة قاصمة عند السبيكة ، وهي كما يقول الأستاذ عنان في تعليقاته على الإحاطة (ص ١٢٢ هامش ٦) : « البسيط الأخضر الشاسع الواقع جنوب شرق الحمراء » . وانظر أيضاً في تفصيل هذه الحوادث : مقال دوزي :

Recherches, I, 364 sqq. تحت عنوان Sur ce qui se passa à Grenade en 1162.

ولم يزل بعد ذلك يحسن الضبط لبلاده ، ويُظهر الكفاية في كافة محاولاته ، إلى أن اعتاق ابنُ هَمْشَك بالدعوة المهدية خلدها الله ، ونابذ صهره محمد بن سعد ، وذلك في سنة اثنتين وستين — بعد الواقعة العظمى بِفَحْصِ الْجَلَابِ على مقربة من مرسية ، وكانت يومَ الجمعة سابع ذى الحجة من سنة ستين^(١) — ووجهَ وزيره أبا جعفر هذا وافداً عنه إلى مراکش ومستصرخاً على صهره ابن سعد ، وكان قد وطئ أعماله ودوخها ، وتغلب على كثير من معاقله ، وكانت تحتَه بنتُ ابن هَمْشَك فطلقها ، ثم ندم . وهدم رحي الوقشي بولجّة بلنسية ، فقال في ذلك :

ألا أبلغا عني الشريق وأهله بأني لا أثنى عيناك عن الغرب
لأجلِها خُزِرَ العيون ضوامراً وأوطئها أجسادكم بدل التُّرب
هدمت رحي من لا يزال بسميه وأفكاره يحني عليكم رحي الحرب

(١) وقعة فحص الجلاب روى تفاصيلها ابن صاحب الصلاة (ورقة ٥٦ وما يليها) : كان الموحدون — بعد انتصارهم على ابن مردنيش وابن هَمْشَك في وقعة السبيكة ، أو جبل السبيكة — قد قرروا القضاء على ابن مردنيش ، وكان يحكم مستبداً بما بنى من شرق الأندلس حتى بلنسية ، فخرج السيد أبو حفص عمر أخو الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وذراعه اليمنى في أوائل ربيع الأول ٥٦٠ / منتصف يناير ١١٦٥ بجيش كبير من مراکش وعبر إلى الأندلس ومعه قوة من مقاتلي العرب يقودهم شيخهم على بن محرز بالإضافة إلى الموحدين ونحو ٤٠٠ فارس من فرسان المرابطين ، وهناك انضمت إليهم قوات السيد أبي سعيد عثمان حاكم الأندلس ، وسار الجيش من إشبيلية إلى قرطبة إلى لُكَّة Luque إلى أندوجر إلى بسطة إلى غُلَسِيَار Cullar ومن ثم أفضى إلى الفحص المسمى بالفُنْدُون جنوبي بلنسية ، ثم عسكروا في فحص الجلاب على ١٠ أميال (نحو ١٢ كيلومتراً) جنوبي مرسية ، وفي يوم الجمعة ٧ ذى الحجة ٥٦٠ / أكتوبر ١١٦٥ دارت المعركة وانجلت عن انهزام ابن مردنيش وتشقت قواه ، فأسرع لاجئاً إلى مرسية وقد حطمت هذه الهزيمة قواه ، ولم يلبث أن اختلف مع صهره وشريكه ابن هَمْشَك ؛ ومات سنة ٥٦٦ / ١١٧١ - ١١٧٢ في مرسية والموحدون يحاصرونها .

انظر بالإضافة إلى ابن صاحب الصلاة في الصفحات المشار إليها :

A. HUICI MIRANDA, *Historia política del Imperio Almohade* (Tetúan, 1956) I, p. 226 - 228.

رَحَى شَدًّا مَا يَفْنَى الرِّجَالُ بِطَحْنِهَا وليس لها قطب سوى الطعن والضرب
 / أَلَمْ أَجْلِبِ الْجَيْشَ الْعَرَمَ نَحْوَكُمْ وصيّرْتُكم في ما علمتُم من الكرب ؟ [١-١٦١]
 وَلَمَّا مَلَيْتُ أَنْ أَكْذُرَ مَا صَفَا لكم بعد هذا في البلاد من الشرب
 فَإِنْ يَكُ عَنْ أَوْطَانِكُمْ عُمُرٌ نَأَى فإن أمير المؤمنين على قرب
 وله في وفادته على مراکش سنة أربع وستين يهنيُ بعيد الفطر من
 قصيدة طويلة :

تَحَنُّنٌ إِلَيْكُمْ وَافِدَاتُ الْمَوَاسِمِ فتهدى إلى كَفَيْكُمْ ثَغَرَ بِاسِمِ
 وَمِنْهُمْ عَيْدُ الْفَطْرِ جَاءَ مُسَلِّمًا عليكَ خَيًّا مِنْكَ أَفْضَلَ طَاعِمِ
 وَمَنْ قَبْلَهُ وَافَى الصِّيَامِ بِشَهْرِهِ على خير أوابٍ وَأَفْضَلَ صَائِمِ
 يقول فيها :

تَقَبَّلَتْ أَخْلَاقَ الْكُهُولَةِ نَاشِئًا فلم تدر يوماً ما مَنَاطُ التَّمَائِمِ
 وَلَوْلَمْ تَشَأْ وَطْءَ التَّرَابِ بِإِخْصٍ كَسِرَتْ عَلَى هَامِ الْمُلُوكِ الْخَضَارِمِ
 وله وقد أحضر لمعاينة قتل أسد هائل المنظر يصفه من كلمة :

جَهْمُ الْحَيَا إِنِّ تَبَسَّمَ هَيْبَتُهُ ومن العجائب هَيْبَةُ الْمُتَبَسِّمِ
 وَيُقَالُ كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا وأرى الفراء لديه بعض المَطْعَمِ
 وَكَأَنَّمَا هُوَ نَاطِرٌ عَنْ زُبُقٍ وَكَأَنَّمَا هُوَ كَاشِرٌ عَنْ مِخْذَمٍ^(١)
 وَكَأَنَّ لِبَدَتَهُ بَقِيَّةَ فُرُوقٍ قَصُرَتْ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
 لَمَّا تَمَرَّدَ فِي الْعَرِينَةِ فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا فَانْسَابَ مِثْلَ الْأَرْقَمِ
 وَعَلَا زَيْرٌ مِنْهُ حَتَّى خَلَّتْهُ كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ عِنْدَ شَوْلٍ هَيْمِ

(١) الأصل : مخدّم ، والصواب مِخْذَم وهو السيف .

وظننت أن الرعد من حيث الحيا حتى سمعتُ اليوم رعدًا من قم
وتناولتُ زُرْقُ الأسنّة زَرْقَهُ حتى بدا في شكله كالشيهم
ولى في هذا المعنى من كلمة قلاتها عند وفادتي على حضرة تونس — أيدها
[١٦١-ب] الله — رسولاً / عن والي بلنسية ودانية — أبي جميل بن سعد — وقد أحضرتُ
لمثل ذلك في أواخر شعبان سنة ست وثلاثين وستمائة :

تحنُّ إلى ملعبٍ للظباء بكثبان رامة أو غُربِ
فهلّا إلى ملعبٍ للأسود سَعَدَتْ بمنظره المعجب ؟
يقامُ الجهادُ به والجِـلادُ لكلِّ فتىٍ مِدرَهٍ مِخْرَبِ
ويُضْرَى على الفتك بالضاريات فإن غالبَ القرنِ لم يُغلبِ
ضواري ضواري أظفارها تعـير الظُّبى رقةً المضربِ
فمن أسدٍ شرسٍ مُحَنَقٍ ومن نمرٍ حردٍ مغضَبِ
أثيرت حفاظُها فانبثرت تسابق في شأوها الأرحبِ
تُصم المسامع من زارها عوادي كالضَّمَر الشُّزْبِ
وتنبو العيون لإقدامها مذرّبة الناب والخلبِ
كوأشرٍ عن مرهفاتٍ حَدَادٍ متى تصدع الهام لا تنشبِ
نيوبٌ كَنَبْتَن من النائبات وأزرين بالصَّارمِ المقضَبِ
تنوء ثقلاً ولكنها أخفُّ وثوباً من الجُنْدُبِ

ومنها في وصف مُلاعب لها من أهل الثقافة ، وكانت في ذلك اليوم المبارك
أربعة آساد ونمرين ، يدحرج إليها كرة متصلة من خشب محكمة الصنعة تحجبُبه

من بأسها وهي رابضة ، وببيده حدائد طوال في نهاية الإرهاق معدة لها . فإذا أحسَّتْ به وثبتت على الكرة ، فألقم أفواهها تلك الحدائد ، ودحرج الكرة ، فتباعدت عنه تَمُجُّ الدم ، وأحياناً يجهز بها عليها إذا لم يأمن عاديته . وقد حفر بمجالها الرحب لآخرين مهاوٍ تَسَعُ جُشَمُهم ، ولها أبواب صغار يطبقونها عليهم ، فإذا ربضت على بُعد صيح بأحدهم ، ففتتح باب تلك الهوة وهَجَّجَ بها وربما ألمع لها/ بما يكون في يده ، فما هو إلا أن تراه فيكاد وثوبها إليه يُعْجِلُه عن إطباق [١-١٦٢] الباب عليه ، ثم تنصرف عنه يائسة منه ، وقد اشتد حنقها وعظم زئيرها ، فيعائن من ذلك آنق منظر وأبداع مرأى :

ومقتحم غمرات الردى	إذا ما ادعى الباس لم يكذب
يلاعبها حيث جد الحما	م فتفرع منه إلى مهرب
يكرُّ عليها ولا جنة	سوى كرة سهلة المجدب
يدحرجها ماشياً نذيتها	على حذر مشية الأنكب
عجبت لها ، أحجمت رهبة	وأقدم بأساً ، ولم يرهب
وقته الأواقى على أنه	تسنمها صعبة المركب
وثاو بمطبة فوقه	متى تطف هامته ترسب
يهجج بالليث كيا يهيج	ويأوى إلى الكهف كالغلب
كذلك حتى هوت نحوها	عقاب النية من مرقب
وعاجت عليها قواسى القسي	فعبت من الحين في مشرب
وشالت هناك بأذناها	ليأذا من العقر كالعقرب
فيا لقساور قد صيرت	[فرائس] ^(١) للأسهم الضييب

(١) لم يرد من هذه الشطرة إلا : الأسهم الضييب ، وقد أكلته للوزن والمعنى .

وللوقشي تحقق بالإحسان ، وتصرف في أفانين البيان ، وكتابي المؤلف في أدباء الشرق المترجم بـ « إيماض البرق » ، مشتمل على كثير من شعره . ومدحه أبو عبد الله الرُّصافي^(١) بما ثبت في ديوانه ، وأعرب عن جلالة شأنه . وبالجملة فهو وأبو جعفر بن عطية من مفاخر الأندلس ، وكانا متعاصرين ، وفي الكفاية متكافئين ، ولذلك في النثر مزية هذا [في] الشعر . وله يصف الزرافة من أبيات :

لَبِستَ من الصُّفْرِ الأنيق ملاءةً مرقومةَ الجَنَباتِ بالعِقيانِ
/ وكأنها قد قُسمت في خَلَقها فأتتكَ بين الخيل والبُقرانِ
وكان قرنيها إذا شالتهما قَلَمَانِ قَلَمٌ منهما الطرفانِ
طالت قوائمها وطال تَليلُها حتى لقد أوفى على الجدرانِ
وتفاوتت في سَمَكها فوراؤها ثلث لها ، وأمامها ثلثانِ

[١٦٢-ب]

وله في حفظ السر :

ومستودع عندي حديثاً يخاف من إذاعته في السرِّ أن ينفد العُمرُ
فقلت له : لا تخش مني فضيحةً لسرِّ غداً ميثماً ، وصدرى له قبر

(١) محمد بن غالب الرُّفَّاء الرُّصافي ، رصافة بلنسية ، وسكن مالقة ، يكنى أبا عبد الله . يقول ابن الأبار عنه : « كان شاعر وقته المعترف له بالإجادة مع العفاف والانتقاض وعلو الهمة والتعيش من صناعة الرُّفُو التي كان يعالجها بيده . لم يبتذل نفسه في خدمة ولا تصدى لانتجاع بقافية ، مُحلت عنه في ذلك أخبار عجيبة » . وهو دون شك من أعظم شعراء العصر الموحدى ، ومن أسف أننا لم نجد ديوان شعره بعد . توفي في مالقة يوم الثلاثاء ١٩ رمضان ٥٧٢/١١٧٧ ، وقد عاش صُرورة لم يتزوج قط (ترجمة رقم ٧٧٢ ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨) . وترجم له أيضاً الضبى (رقم ٢٥١) ، ويسميه المقرئ ابن رومي الأندلس (طبعة أوروبا : ٣٢٧/٢) ، وانظر الرايات رقم ١٠٨ ص ٨٤ من النص العربي وص ٢٥١ من الترجمة الإسبانية . وترجم له فيكل في :

A. R. NYKL, *Hispano - Arabic poetry* (Baltimore, 1946) p. 326 - 327.

وأورد عبد الواحد المراكشي شيئاً من شعره في المعجب ؛ هذا وقد جمع الدكتور إحسان عباس ما وجدته من شعره في مختلف المراجع وفشره في بيروت سنة ١٩٦٠ .

على أن مَنْ في القبر يُرَجَى نشورُهُ وسرُّك ما يُرَجَى له أبدأ نُشْرُ
وله مما استفدته من أبي — رحمه الله — وأنشدنيهِ :

ألا قَرَّبَ اللهُ الدِّيارَ وأهلَها ومَنْ حلَّ في شِقِّ من الغرب نازحـ
أعانقُ صدرى في الخلاء تشوُّقاً لكونهم ما بين طيِّ الجوانحـ
وبينهما بيت ثالث ذهب من حفظي .

وله في النسب أيضاً :

لعلَّ في الظاعنين سارا من كان لي بالعقيق جارا
إن صح هذا خذوا بذخلى من بينهم حادى العمارى
يقول فيها :

ما بالُ عينيَّ منذ بتمَّ لم تطعما للكرى غرارا
وما لوردٍ بوجنتيكم أنبت في وجنتى بهارا
أيا نديمتى أخبرانى فإن فيما أرى اعتبارا
أبصرتُما قبلَها قضيباً قد أثمر الليل والنهارا ؟
أو وجنةً وهى جسمُ ماء تعود إثرَ الحياء نارا ؟

وله في الشقائق :

وشقائقٍ لاحت على الأغصانِ مثل الحدود تُزان بالخيلانِ
/ يهفو النسيم مع الأصائل والضحى فيهب منها معطِفَ الشَّوانِ [١-١٦٣]
فكانها قُضِبُ الزُّمُرْدِ ألصقتْ بالمسك فيها أكؤسُ العِقيانِ

وله في غصنٍ منثور بيد حبشي طلع به وهو في مجلس أنسه مع ندمائه :
 وزنجيَّ ألمَّ بغصنٍ نورٍ وقد زُفَّتْ لنا بنتُ الكرومِ
 فقال فتى من الندماء : صِفْهُ فقلت : الليل أقبل بالنجوم
 وقد أنشدنيهما صاحبنا أبو علي بن سليمان الأمين^(١) الشَّريشي بمنزلي من
 حضرة تونس ، قال : أنشدنيهما الأستاذ أبو علي عمر بن عبد المجيد الرُّندي^(٢)
 بمالقة لأبي عبد الله الرُّصافي ، وحكى لي عنه أنه كان بظاهر مالقة مع طائفة
 من أصحابه على أنسٍ ، فصعد غلامٌ أحدهم إلى شجرة لوز منورة فاقتطع غصنا
 منها وأتاهم به ، فسألوه وصَّفه فقال بديها :

وزنجيَّ ألمَّ بنورٍ لوزٍ وفي كاساتنا بنتُ الكرومِ

وما بعده كما تقدم ، إلا أنه قال « من الفتيان » مكان قوله « من الندماء » .
 وغلط أبو مروان بن صاحب الصلاة الإشبيلي فنسبها في تاريخه إلى بعض
 الأمراء ، وزعم أنه قالها في حبشيَّ بيده شمعاً ؛ ولا يليق هذا التشبيه بذلك .
 وتوفي أبو جعفر الوقشيَّ بمالقة ، صادراً عن مرَّاكش ، في سنة أربع
 وسبعين وخمسة^(٣) .

(١) وردت في الأصل : الأيسى . ولم أعثر على الاسم في مرجع آخر ، فقومت الكلمة
 كما ترى في المتن .

(٢) عمر بن عبد المجيد بن علي الأزدي المعروف بالرندي لأن أصله منها ، يكنى أبا علي
 وأبا حفص ، نزيل مالقة . من أكابر فقهاء النصف الثاني من القرن السادس وأوائل السابع
 الهجريين ، إذ توفي سنة ٦١٦ عن ثلاث وسبعين سنة . انظر ترجمته في التكملة ، رقم ١٨٢٨ ،
 ج ٢ ص ٦٥٧ - ٦٥٨ .

(٣) أورد نيكسل في كتابه الآنف الذكر ، ص ٣٢٦ فقرة لا بأس بها عن أبي جعفر

وحدثني شيخنا أبو الربيع بن سالم أنه اجتاز بقيق مالقة^(١) ، فاستحسن ما رأى من زخرفة القبور به ، واغتراس الأشجار ذات النواوير والأزهار أثناءها ، فتمنى أن يُدفن هنالك فوقَ الأقدارِ بأمنيته عند موافاة منيته .
وكانت وفاة أبي إسحاق بن هُشك قبله بمكناسة ، في صفر سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة .

١٥٣ - أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي ، أبو بكر

صحب أبا العباس أحمد بن معدّ الأُقْلَيْشِيّ الزاهد ومال إلى طريقته ، وأنفق في أبواب الخير والمعروف / أموالاً جليلاً ؛ سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب [١٦٣-ب] وغيره يذكر ذلك . وكان يُعرف بالعباد ، لكثرة إشاره وطول محبته الفقراء ، وإكبابه على الأعمال الصالحة . وداره جزيرة شُقْر^(٢) من أعمال بَلَنْسِيَّة ، وبيته شهيرُ النباهة .

(١) بقيق مالقة هو موضع مقابرها .

(٢) جزيرة شُقْر أو الجزيرة أو شُقْر : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت من مدائن

بلنسية (انظر صفة الأندلس للرازي ، رقم ٢١ ص ٧١) ، وهي مدينة على جزيرة في مصب نهر شُقْر Jucar الذي يسمى وادي شُقْر ، وهو نهر متوسط الطول جنوبي النهر الأبيض (وهو نهر بلنسية المسمى Turia) . وقد أطل العذري في جغرافيته وصف ذلك البلد . وكانت شُقْر بلداً زاهراً غنياً ينسب إليه ابن خفاجة الشاعر فيقال له الشُقْرِيّ والجزيري . وتسمى اليوم Alcira وهي مركز إداري في مديرية بلنسية . وقد سقطت شقر في يد خايمة الفاتح ملك أرغون

سنة ١٢٤٢/٦٤٠ ، وفي سنة ١٦٠٩ كانت مسرحاً لثورة كبرى قام بها الموريسكيون .

انظر : الإدريسي ، ص ١٩٣ . الروض المطار ، رقم ٩٢ ص ١٠٣ والترجمة الفرنسية

ص ١٢٦ ، وقد اختصها زايبولد بمادة صغيرة في د. م. ١ - ١ - ٢٥٥ .

ولما ضعف أمر أبي عبد الله محمد بن سعد بشرق الأندلس ، وانسلخ من طاعته أبو إسحاق بن هُشِك صهره بجيَّان وما إليها ، ثم ابنُ عمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن سعد بالمريَّة ، واستوحش حتى من نفسه ، أخرج أهلَ بِلَنَسِيَّة منها وأسكنهم ظاهرها ، وشحنها بالروم وأتباعهم . ونوى ذلك في غيرها ، فخاف أبو بكر بن سفيان هذا أن يخرج من بلده — وكان فيها متبعا — فدعا للموحدين أعزهم الله ، وخلع ابن سعد ، ورأس بموضعه ، ومالاً جيرانه . فأنفذ إليه الرئيسُ أبو الحجاج يوسفُ بنُ سعد قائداً من كبار أصحابه في جملة من خيله ، ورسم له حصاره والتضييق عليه ، فبدأ بمنازلته منتصفَ شوال من سنة ست وستين وخمسة ، وأقام على ذلك إلى منتصف ذي الحجة ، وابنُ سفيان يقاومه ويقوم بتدبير بلده ، والأمدادُ تتلاحق في كل حين وتحدق به ، وابنُ سعد وأخوه أبو الحجاج قد اكتنفاه في الجموع الكثيفة ، حتى خيف من الوهن . فاتحهم البلد ذو الوزارتين أبو أيوب بن هلال ، مقويا عزائم أهله ، وضامناً لهم الاستقلالَ بضبطه ، فتخلى ابنُ سفيان له عنه ، راضياً في الظاهر متبرماً في الباطن . وتولى ابنُ هلال من المصابرة في تلك المحاصرة ، والمحاولة لتلك المصاولة ، ما أبقاه أثراً مشهوراً ، وخبراً تداولته الألسن دهوراً . واعتل ابنُ سعد خلالَ ذلك فلحق بمرسية ، وألزم أخاه ملازمة البلد ، فتنفس الخناق ، ثم انتعشت بوفاته الأرماق .

ولابن سفيان حظ من النظم قصَّره على الزهد ، وهو القائل من أبيات :

كلُّ عطاءٍ فإلى علةٍ لا شك يُفنى ، ولوجه السقمِ
إلا الذي منك بلا علةٍ يا خالقَ العرشِ ومُجْرى القلمِ

كلُّ الوري لابسُ ثوبِ الدجى لولا سفا منك يُجَلِّي الظلمَ

/ وأما ابنه أبو المطرف محمد ، فقوى العارضة ، مُعين الطبع ، حسن [١٦٤-١]

التصرف . وله عن أبيه وسائر أهل بلده — عند اشتداد الحصار وتمادى المضايقة — رسالة حسنة في الاستصراخ والاستنصار أودعها أبياتاً ، منها :

تداركُ أميرَ المؤمنين دماءنا فإنك للإسلام والدين ناصرُ
 ووجهٌ إلى استنقاذنا بكتيبةٍ يهابُ الردى منها العدو المحاصرُ
 تنفّسُ من ضيقِ الخناقِ بقطرنا فتبدركَ آمالٌ وترعى أواصرُ
 إذا ما انكفى بالخرى وارثاً خائباً فطمح به عن نيلها متقاصرُ
 فليت ابن سعدٍ إذ تألفَ مانعتُ فلم تتمخضْ عن قواه العناصرُ
 ستذهب أنوارُ الخلافةِ ظلمةً وتلفظه بعد الخيول المقاصرُ
 ويهدم ما قد أسس الكفرُ عنده كريمُ السفا تثنى عليه العناصرُ
 فهذا الذى يبنى المساجدَ أمرُه وأمرُ ابنِ سعدٍ أن تُشاد المعاصرُ
 وذا الملكُ آياتُ المثنى تهزُّه وذاك بأصوات المثنى البناصرُ
 بقيتَ أميرَ المؤمنين مخلداً وكلُّ الوري عن كنههِ وصفيكَ قاصرُ

وماله عندي ، ولأخويه أبي محمد عبد الله وأبي جعفر أحمد — وكانوا جميعاً

أدباء نبهاء — فى كتاب « إيماض البرق » من تأليفى مستوفى والحمد لله .

١٥٤ - نفيس بن محمد الربيعي البغدادي ،

أبو الفضل - يعرف بابن قمونة

ونسبه صريح في ربيعة . وقدم على المغرب فُتلى بالقبول ، ووُلى الجزيرة
الخضراء . وكان أديباً فصيحاً ، وهو القائل في مقتل عمر المعروف بالرشيد سنة
أربع وثمانين وخمسمائة :

فله دَرَكٌ من عادلٍ أقرَّ عيوناً وأذكى عيوناً
سطا بالرشيد فكان الرشيدَ ولو فاتَه الحزمُ كان الأميناً

[١٦-ب] / وله :

لولا خيانةُ حيَّونٍ لقلتُ لكم هو الأمانةُ مما فيه من ثِقَلٍ
هو الطويل وفي معروفةٍ قِصَرٌ كأنه ليلٌ مشتاقٍ بلا أملٍ

١٥٥ - عبد الرحيم بن ابراهيم بن محمد الخزرجي الغرناطي ،

أبو القاسم - المعروف بابن الفرَس

ثار بناحية مَرَّاكُش من المغرب واشتملت عليه طوائف من البربر ،
ثم غدر به بعضهم ، فقتل وحُز رأسُه وسيق إلى مَرَّاكُش ، وذلك في نحو
الستمائة . وهو القائل في ثورته ، وكان شاعراً مطبوعاً :

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجللِ
أناكم خيرُ قطانٍ وعالمها وصاحبُ الوقت والغلابُ للدولِ

والناس طوعُ عصاه وهو قائدُهم بالأمر والنهي نحو العلم والعمل
فبادروا أمره ، فالله ناصرُهُ والله خاذلُ أهلِ الزَّيغِ والزَّلِ
وهي طويلة .

وله أيضاً :

عسى عطفةٌ من جانبِ القُدسِ تسمعُ وبارقةٌ من جانبِ اللطفِ تلمحُ
عسى اللهُ يُدِنيني إلى ساحةِ الرضا فأقرع أبوابَ الغيوبِ فتُفتحُ
وما زال فضلُ الله يغمر ساحتى ويظهرُ لى من حيثما أتلحُ
إلى الملا الأعلى سموتُ بهمتى كذلك شأنُ الشَّكلِ للشَّكلِ يحنحُ

١٥٦ — محمد بن سیدرای بن عبد الوهاب

ابن وزير القیسی ، أبو بکر

كان أبوه أبو محمد سیدرای أميراً بغرب الأندلس في الفتنة ، وتغلب على أج
القاسم بن قسبي في شعبان سنة أربعين وخمسمائة ، ثم نظمته الدعوة المهدية مع
رؤساء الأندلس ، وحضر حصار إشبيلية هو وابن قسبي في العساكر المحيطة بها
مع الأساطيل برّاً وبحراً إلى أن فتحت يوم / الأربعاء الثاني عشر من شعبان [١٦٥-١] سنة
سنة إحدى وأربعين ، وفر الملتزمون عصرَ ذلك اليوم إلى قرْمُونَة ، وتخلّى أبو محمد
المذكور عن شلب سنة اثنتين وخمسين ، فمُلكت مع قلعة مِيرْتَلَة .

وكان من رجالات الأندلس رجاحةً وشهامةً . وكذلك كان ابنه أبو بکر

هذا ، وولى قصر الفتح المنسوب إلى أبي دانس^(١) عند استرجاعه من أيدي

(١) قصر أبي دانس ، حصن في ناحية « الجوف » في الأندلس ، ولم أثبت إن كان تابعا من الناحية الإدارية لكورة الأشبونة أو لكورة باجة ، فهو في منطقة الحدود بينهما ، وهو منسوب إلى بانيه أبي دانس بن عوسجة المصمودي (جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٤٦٦) ذكره في سياق كلامه عن المصامدة في الأندلس وقال : « وبنودانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلنسبيرة ، وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس في الجوف » ويسمى الموضع حاليا **Alcacer do Sal** (بالبرتغالية ، أى قصر الملح) وهو يقع على نهر شَطُوبَر الذى يسمى اليوم **Sado** وهو نهر صغير يصب في بحيرة ضحلة صغيرة متصلة بالبحر تسمى اليوم **Setúbal** ، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة المحوس على^٢ غرب الأندلس سنة ٩٧٠/٣٥٩ . وكان لقصر أبي دانس دور عظيم في العصر الموحدى ، نظراً لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس . وكان بنو وزير - ومعهم المترجم له - من أكابر بيوت هذا النفر ، وقد سبقت الإشارة إلى جدهم أبي محمد سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيسى الذى ثار في يابره وباجة ودخل في طاعة ابن قسي^٣ ثم اختلف معه وافتزع منه ميرتلة وبطليوس سنة ١١٤٦/٥٤٠ واشترك معه في الاستيلاء على إشبيلية من المرابطين سنة ١١٤٧/٥٤١ . وقد اختلف مع الموحدين حيناً ، ولكنه - على الحملة - كان من خيرة رجالهم . ويبدو أنه توفى بعد سنة ١١٧٠/٥٦٥ بقليل ، لأننا لا نسمع بعد ذلك إلا عن ابنه أبي بكر محمد المترجم له هنا وأخيه على الذى كان والياً على سربة **Serpa** ثم وقع في أسر البرتغاليين . وفي سنة ١٢١٧/٦١٤ - عندما هاجم البرتغاليون قصر أبي دانس مصممين تصميماً كاملاً على الاستيلاء عليه ، لأنه كان يعوق تقدمهم نحو الجنوب - نجد والى الحصن المدافع عنه رجلاً من بنى وزير هو عبد الله بن وزير ، ويبدو أنه ابن أبي بكر محمد هذا . وقد استعان البرتغاليون في الاستيلاء على الحصن بأسطول من الصليبيين الألمان ، ومع ذلك لم يسقط في أيديهم إلا بعد قتال مرير وحصار طويل في جمادى الثانية ٦١٤/سبتمبر ١٢١٧ في يد ألفونسو الثانى ملك البرتغال بعد أن قتل كل أهل القرى حوله . وتظاهر عبد الله بن وزير باعتناق المسيحية لينجو من القتل ثم هرب بعد ذلك . والبلد اليوم مركز إدارى في مديرية يابرة **Evora** في البرتغال ، ويقع في منتصف المسافة بين باجة **Beja** والأشبونة ، ولا زالت بقية الحصن العربى قائمة فيه .

انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٩ . وقد اختصه الروض المطار بمادتين ، رقم ١٤٥ (القصر) ص ١٦١ ورقم ١٤٦ ، ص ١٦٢ (قصر أبي دانس) ، وانظر الترجمة الفرنسية للمادتين ، ص ١٩٣ (وتعليق ٣) وص ١٩٤ و :

A. HUICI MIRANDA, *op. cit.* II, 442-443.

وحائدة المعارف الإسبانية (إسباسا كالب) ج ٤ ص ١٢٠٧ .

الروم في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وكانوا قد تغلبوا عليه سنة
خمس وخمسين ، وأقام والياً عليه سامى الرتبة نامى الخطوة ، إلى أن توفى في صدر
المائة السابعة بعد حضوره بوقية العقاب^(١) ، وكانت يوم الاثنين منتصف صفر
سنة تسع وستمائة . وهو القائل في حرب ظهر فيها على الروم :

ولما تلاقينا جرى الطعنُ بيننا فمنا ومنهم طائحتُ عديدُ
وجال غرارُ الهندِ فينا وفيهمُ فمنا ومنهم قائمٌ وحصيدُ
فلا صدرَ إلا فيه صدرُ مثقفٍ كلانا على حرِّ الطعانِ جليدُ
ولكنْ شددنا شدةً فتبدلوا ومن يتبدلُ لا يزالَ يحميدُ
فولوا وللبيض الزقاقِ بهامهمُ صليلٌ وللشمر الطوالِ وُردُ

وله في النسيب :

ومرنحِ الأعطافِ تحسبُ أنه متعلِّلٌ أبداً بصرفِ مُدامه
خَنِثِ الحاجرِ والجفونِ كأنما يسرى فتورُ جفونه لكلامه
فضحِ الهلالِ بوجهه ولربما فضحِ القضيبِ بلينه وقوامه
وغدا شقيقَ سميّه في حُسْنِه وغدا العنا وقفاً على لُوامه

وله :

وبتُّنا جميعاً مثل ما لَنَّتِ الصِّبَا قضيين من نوعين ذاوٍ وناضرٍ
فطوراً أمصُّ الشهدَ من جوهر اللّعى ويا عجبا للشهد بين الجواهر
وطسوراً عناقاً لا تنفّسَ بيننا ولكن تناجينا بسرُّ الضمائر

(١) هي الموقعة المشهورة عند الموضع المعروف اليوم باسم Las Navas de Tolosa

بمديرية جيان الحالية على ٥ كيلومترات شمال شرق لاكارولينا La Carolina ، وكانت في ١٥

صفر ١٧/٦٠٩ يوليو ١٢١٢ ، وتفصيلها كثيرة في مراجعنا .

[١٦٥-ب] / أقول : أما للصبح من متنفّسٍ ؟ وعندى أنّ الليلَ لحّةٌ ناظر

وله وقد فصّدت أم ولده وكانت غالبة عليه :

يا مَنْ علا^(١) فجلا في النفس موقمُهُ ومَنْ هو القلبُ أوفى القلبِ مرتعُهُ
لم تملأِ الطُّسْتَ لما أنْ فصّدتَ دما وإنما الصَّبُّ ذابت فيه أدمعُهُ
فلا تخفْ بعدها من حادثٍ نبأ فاللهُ والفلكُ المأمورُ يدفعُهُ

وما أحسن قول الحسين بن عبد السلام في هذا المعنى وقد فصّدت محبوبته :

ما أنت شاكية حقاً ، أنا الشاكي عافاني اللهُ بما بي ، وعافاكِ
حللتِ مني فؤاداً حشوه لُهبٌ فإن حُجِمَتْ فهذا أصلُ حُماكِ
قالوا مددتِ إلى الحجّام جارحةً وموضعُ الفصدِ منها عينُ مُضناكِ
أسال من فضةٍ بيضاء في ذهبٍ يا قوتةً هي دمعُ الشفيقِ الباكي

ولأبي بكر في كلب صيد وطئه فرس له حول خبائه فهلك ، وهو من

جيد شعره :

يا مجهدَ النفسِ في إدراكِ مطلوبِ ومُسعدِي حين إدلاجي وتأويبي
وحارمي ورداء الليلِ مشتملٌ من كل مستلبٍ في زىٍّ مسلوبِ
ويا وفيّاً بما خاب الرجالُ بهِ ورائةً عن مطاويجِ مناجيبِ
كنت المصيخَ لأمرى والمطيعَ لهُ وإن تعرّض فيه كلُّ مرهوبِ
فجاءتك المنايا حيث تأمنها من طالبٍ لم تفتُهُ عينُ مطلوبِ
لئن طوتك الليالي طىً بُردتها لقد طوت فيك أنسى طىً مكتوبِ
وأودعتني سرّاً من سجيّتها بأنَّ رغبَتها نكلٌ لمرغوبِ

(١) يمكن أن تقرأ أيضاً : يامن غلا .

فكم غَنِينَا وقد رُحْنَا إِلَى قَنَصٍ بِيَعِضِ حُضْرِكَ عَنْ قَرَعِ الظَّنَائِبِ
 /وَنَابَ نَابُكَ فِي مَا كُنْتَ تَقْرِسُهُ مِنْ الظُّبَاءِ عَنِ الصُّمِّ الْأُنَائِبِ [١-١٦٦]
 قَدْ كُنْتَ تُؤَلِّي الرَّدَى مَنْ حَانَ مَوْعِدُهُ حَتَّى أَتَاكَ لَوْعِدٍ غَيْرِ مَكْذُوبِ

* * *

وَمَنْ كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةٍ فِي آخِرِ هَذِهِ الْمِائَةِ
 مِنْ رِجَالِ الدَّعْوَةِ الْمَهْدِيَّةِ ، خَلَّدَهَا اللَّهُ :

١٥٧ - عمر بن جامع ، أبو علي

هُوَ ابْنُ أَخِي أَبِي الْعَلَى إِدْرِيسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ جَامِعِ الْوَزِيرِ ، وَكَانَ
 بِإِفْرِيقِيَّةٍ فَطَالَ مَكْنَهُ بِهَا ، وَحَنَّ إِلَى بَنِيهِ فَاسْتَدْعَاهُمْ مِنْ مَرَّاكُشٍ وَقَالَ فِي ذَلِكَ
 شِعْرًا خَطَهُ فِي رَقْعَةٍ ، ثُمَّ نَشَأَتْ لَهُ قَبْلَ وَصُولِهِمْ غَزَاةٌ إِلَى سُلَيْمٍ مِنَ الْعَرَبِ ،
 فَقُتِلَ فِيهَا ، وَوُجِدَتِ الرَّقْعَةُ فِي جَيْبِهِ وَمِنْ أَيْبَاتِهَا :

سَقَيْنَا بَعْدَكُمْ أَيْدِي الْفِرَاقِ كَوُوسًا طَعَمُهَا مَرُّ الْمَذَاقِ
 فَأَضْرَمْتَ الْحَشَا نَارًا وَأَجْرَتْ دُمُوعًا تَسْتَهْلُ مِنْ الْمَلَأَقِ
 فَلَوْلَا النَّارُ مِتُّ غَرِيقَ دَمْعٍ وَلَوْلَا الدَّمْعُ مِتُّ مِنْ احْتِرَاقِ
 وَلَكِنْ حِينَ حُمِّ النَّأْيُ عَنْكُمْ وَأَعْلَى صَوْتِهِ حَادِي الرِّفَاقِ
 خَشِيتُ خُرُوجَ قَلْبِي مِنْ ضُلُوعِي وَخِفْتُ بُلُوغَ نَفْسِي لِلتَّرَاقِ
 وَلَكِنْ لَا احْتِكَامَ عَلَى الْإِيَالِ وَهَلْ مِمَّا قَضَاهُ اللَّهُ وَاقٍ ؟

١٥٨ — عبد الواحد بن عبد الله ، أبو محمد المعروف بوامجور^(١)

وَلَى تُونِسَ ، وَكَانَ شَهِمًا صَارِمًا سَفَاكَاً لِلدَّمَاءِ ، وَنُكِبَ بَعْدَ مُحَاصِرَةِ
قَفْصَةِ وَالظُّفْرِ بِهَا وَبِالْثَّائِرِينَ فِيهَا بِدَعْوَةِ عَلِيِّ بْنِ غَانِيَةَ ، وَذَلِكَ سَنَةً ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ
وَخَمْسِمِائَةً^(٢) ، وَمَاتَ بِنَوَاحِي بَجَايَةِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ . وَيُنْسَبُ
إِلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَجْبِسِهِ :

نَصَحْتُ فَلَمْ أَفْلَحْ ، وَخَانُوا فَأَفْلَحُوا فَأَنْزَلَنِي نُصْحِي بَدَارَ هَوَانٍ
[١٦٦-ب] / فَإِنْ عَشْتُ لَمْ أَنْصَحْ وَإِنْ مِتُّ فَالْعَنُوا ذَوِي النَّصْحِ مِنْ بَعْدِي بِكُلِّ لِسَانٍ

وهذا عندي كما يُنسب إلى أبي بكر بن إبراهيم المَشَوِي المعروف بابن
تَافَلَوَيْت^(٣) — والى سَرَقِسطَةَ في صدر هذه المائَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَالمُتَوَفَى بِهَا فِي رَجَبِ

(١) وَرَدَ الْاسْمُ فِي الْأَصْلِ : وَامْجُور ، دُونَ نَقْطٍ . وَقَدْ صُوِّبَ الْاسْمُ بِحَسَبِ مَا وَرَدَ
فِي كِتَابِ أَخْبَارِ الْمُهَدِي لِأَبِي بَكْرٍ الصَّنَهَاجِي الْمَعْرُوفِ بِالْبَيْدِقِ ، وَقَدْ وَرَدَ هُنَاكَ : أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ وَمَجْجُورِ الْهَنْتَانِي ، وَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمَعْرُوفِينَ بِأَهْلِ خَمْسِينَ
أَوْ أَيْتِ خَمْسِينَ (انْظُرْ ص ٣٥ مِنَ النَّصِّ وَ ٥٣ مِنَ التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ) . وَوَرَدَ الْاسْمُ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ
مِنَ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ لِابْنِ عِذَارِي (ص ١٠١) : أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ وَاسْمَجُورِ ، وَانْظُرِ التَّرْجُمَةَ الْإِسْبَانِيَّةَ
بِقَلَمِ أُوَيْثِي مِيرَانْدَا (ج ١ ص ١١٨ وَتَعْلِيق ٢) . أَمَّا ابْنُ الْأَثِيرِ فَيُذَكِّرُهُ بِاسْمِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَنْتَانِي .

(٢) انْظُرْ تَفَاصِيلَ ذَلِكَ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ لِابْنِ عِذَارِي ، ص ١٠٩
وَمَا يَلِيهَا .

(٣) هُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، الْأَمِيرُ أَبُو يَحْيَى الْمَسُوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالصَّحْرَاوِي .
تَرْجَمَ لَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ تَرْجُمَةً وَاسِعَةً وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ صَهْرَ عَلِيِّ بْنِ يُونُسَ ، زَوْجِ أُخْتِهِ ، وَلَمْ تَنْصَحْ =

سنة إحدى عشرة منها — أنه قال في سيفٍ ، ووقفتُ على ذلك من وجوه :

هزرتُ حُساماً فشبهتهُ غديراً من الماء لكن جمدُ
ومهما بدا لي منه فِرندُ لهيباً من النار لكن خمدُ
فلولا الجودُ ولولا الحمدُ لسالَ لبي الهزُّ أو لاتقدَّ

وكما يُنسب أيضاً إلى يحيى بن إسحاق بن غانية المشوفي أنه قال :

وإذا تجيشُ النفسُ قلتُ لها : قِرِي - يَحْموتُ يريحُكِ أو ركوبُ المنبرِ
ما قد قُضى لا بد أن تلقينهُ ولكِ الأمانُ من الذي لم يُقدَرِ

وهذا الشعر الأخير إنما هو لأبي الحسن التَّهَمِي ، وهو موجود في ديوانه ،
والذي قبله يروى لابن المعتز وغيره . والظاهر أنهم يتمثلون بما يحفظون فيتوهم
سامعهم أن ذلك لهم ، وإلا فرفةُ الحال تنزههم عن الالتحال ، ولو أنى اجتنبتُ
ما اجتلبتُ من هذا وشبهه لأوجدتُ للمعتز سبيلاً إلى المقال .

= المراجع عن اسم هذه الأخت . وذكر ابن الخطيب أصله وسبب تسميته بالصحراوي واتصاله
بعلی بن يوسف . وقد تولى غرناطة سنة ٥٠٠ هـ ثم سرقطة بعد ذلك ، وهناك صحبه أبو بكر محمد
ابن الصائغ الفيلسوف المعروف بابن باجة ، وتوفي في سرقطة سنة ٥١٠ هـ .
انظر : الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان) ٤١٢/١ وما بعدها .